

تسليية الأنبياء والأولياء - دراسة قرآنية#

The Amusement of Prophets and Righteous People - Quranic Study

زهران زهران*، ومحسن الخالدي**

Zahran Zahran & Mohsen Al-Khaldi

*طالب ماجستير: قسم أصول الدين، كلية الشريعة، جامعة النجاح الوطنية، فلسطين.

**قسم أصول الدين، كلية الشريعة، جامعة النجاح الوطنية، فلسطين.

*الباحث المراسل: Abu.albraa.kh@gmail.com

تاريخ التسليم: (2018/3/22)، تاريخ القبول: (2018/6/10)

ملخص

يقوم هذا البحث على تتبع المشاهد القرآنية التي عرضها القرآن الكريم لتسليية الله تعالى لأتباعه المرسلين وأوليائه الصالحين عند نزول الشدة وحلول البلاء، بهدف بيان الآثار التربوية والنفسية للتسليية. وتأتي هذه الدراسة في زمن تحيا فيه أمة الإسلام فترة عصيبة مليئة بالبلاء، فلعل مثل هذه الدراسات تكون بلسما لهذه الجراح، وعونا لأهل الإسلام على الثبات وتجاوز العقبات. وتبين من خلال هذه الدراسة أن الآيات التي ضمننت معنى التسليية منتشرة في كتاب الله عز وجل، وهذا إن دل فإنه يدل على تلك الصلة الوثيقة بين الخالق جل وعلا وعباده المؤمنين، وظهر أيضا من خلال هذه الدراسة جملة من الآثار والقيم للتسليية وهي: أن ابتلاء الصالحين سنة من سنن الله تعالى في خلقه، وتربية الأتباع على الثبات، وعدم الخوف وعدم الحزن، والصدق مع الله تعالى، واليقين بوعد الله تعالى.

الكلمات المفتاحية: تسليية الأنبياء والأولياء.

Abstract

The research is based on following the Quranic sights which were included in the Holy Quran for the amusing of Allah to his prophets and righteous people at the time of sufferance and misery. The aim of this study is to demonstrate the educational and psychological influences of this Quranic methodology – the amusement. This study occurs in a difficult

البحث مستل من رسالة الماجستير للطالب زهران زهران بعنوان: "التسليية في القرآن الكريم - دراسة موضوعية"، والتي تم مناقشتها في جامعة النجاح الوطنية بتاريخ 2017/4/30م.

period which is full of misery for the Islamic nation. Perhaps such studies could be a cure for all these wounds, and they could provide help for Muslims to be consistent and overcome obstacles. It has been proved according to the study that the verses which included the meaning of "amusement" are widely spread in the Holy Quran. This shows the solid relation between God and His believers, and between the methodology and reality. This Quranic study has revealed many results and morals: it is normal for righteous people to face difficult situations and these are tests from Allah, in order to teach them consistency and not to frighten or grieve. Therefore, they will be honest with God and certain in God's promise.

Keywords: The amusement of prophets and righteous people.

مقدمة

فإن الله عز وجل قد امتن علينا بنعم عظيمة جليلة لا تعد ولا تحصى، ومن هذه النعم نعمة القرآن الكريم معجزة الله تعالى الخالدة، وحبله المتين، وصراطه المستقيم، من اهتدى بهديه فلن يضل، ومن حاد عنه عاش عيشة ضنكا، وإنك إذا تأملت الواقع ونظرت في الحال تجد أن أمة النبي صلى الله عليه وسلم تكالبت عليها الأمم، غير أن الذي يؤنس القلب ويسليه أن الله عز وجل قد جعل هذه الدار دار ابتلاء واختبار وجعل الآخرة دار جزاء واصطفاء. وإذا نظرت وتأملت في كتاب الله جل وعلا تجد أنه تعالى جعل في ثنايا صفحاته عزاء لأهل البلاء، يرفع به همهم، ويثبت به أقدامهم.

ويأتي هذا البحث للنظر في الآيات القرآنية التي عرضت لتسليية الله تعالى لأنبيائه المرسلين وأوليائه الصالحين وإمائه الصالحات، وذلك بغرض فهمها وتحليلها والإفادة منها ببيان القيم والآثار التربوية والنفسية المستفادة منها.

مشكلة البحث

يحاول البحث الإجابة على التساؤلات الآتية:

1. معنى التسليية في اللغة وفي الاصطلاح؟
2. بيان معنى لفظ السلوى في القرآن الكريم؟ وهل هناك علاقة بينه وبين لفظ التسليية؟
3. هل عرض القرآن الكريم لنماذج من تسليية الله تعالى لأنبيائه المرسلين وأوليائه الصالحين وإمائه الصالحات؟
4. ما هي القيم والآثار المستفادة من هذه الدراسة؟

الدراسات السابقة

بعد البحث والمطالعة لم أجد دراسة قرآنية تناولت جملة من المواضيع التي أبرزتها الدراسة، غير أنني وجدت كتباً طافت حول الحمى وهي على النحو الآتي:

1. المنهج القرآني في الموساة وتقريغ الكربات، للباحث سامي حسين أبو وردة وهي رسالة ماجستير، وكان تركيز الباحث في الرسالة على نماذج الموساة في القرآن الكريم.
2. اليأس في القرآن الكريم، للباحثة فاطمة الحاج حسن، وهي رسالة ماجستير تحدثت الباحثة في الفصل الرابع من الرسالة عن وسائل الوقاية من اليأس، ولهذا ارتباط بالفكرة التي نعكف على الوصول إليها، فالتسلية ركيزة من الركائز التي تقي المرء من الوصول إلى اليأس.

منهجية البحث

اتبعت في هذا البحث المنهج الاستقرائي التحليلي، وذلك باستقراء وتتبع الآيات القرآنية التي تضمنت معنى التسلية، وقد جاء هذا البحث في أربعة مباحث، وهي على النحو الآتي:

- **المبحث الأول:** مفهوم التسلية، ودلالاتها في السياق القرآني.
- **المبحث الثاني:** نماذج من تسلية الأنبياء والمرسلين في القرآن الكريم.
- **المبحث الثالث:** نماذج من تسلية الأولياء الصالحين والإمام الصالحات في القرآن الكريم.
- **المبحث الرابع:** القيم التربوية والنفسية المستفادة من هذه الدراسة.

المبحث الأول: مفهوم التسلية ودلالاتها في السياق القرآني

أولاً: معنى التسلية

إذا نظرت في معاجم اللغة فإنك نجد أن لفظ التسلية يدور حول جملة من المعاني، وهي:

1. الكشف: سلاه من همه كشفه عنه، ومنه السلوان: دواء يسقاه الحزين يسمونه المفروح⁽¹⁾. وانسلى الهم: أي انكشف⁽²⁾.
2. الكف: "سليت مباكي فلان: كففت عنه"⁽³⁾.
3. اللهو: "ما سَلَيْتُ: أي ما لَهَيْتُ"⁽⁴⁾.

(1) انظر: الرازي، محمد بن أبي بكر. **مختار الصحاح**. تحقيق: محمود خاطر. بيروت: مكتبة لبنان. (ص 326).
 (2) ابن منظور، محمد بن مكرم. **لسان العرب** 15 مج. طبعة: 1، بيروت: دار صادر. (394/14).
 (3) ابن عباد، إسماعيل بن عباد. **المحيط في اللغة** 10 مج. تحقيق: محمد حسن ال ياسين. طبعة: 1، سنة: 1414 هـ. بيروت: عالم الكتب. (378/8).
 (4) المصدر السابق. (378/8).

يتبين من العرض السابق أن معنى التسليية في اللغة: كشف الهم والتخفيف عن المبتلى، والظاهر وأيضاً أن لفظ التسليية عندما يأتي بمعنى اللهو واللعب فهو في حقيقة الأمر يعود إلى المعنى الرئيس الذي هو التخفيف، لأن هذا اللهو واللعب يقصد منه التخفيف ونشر الفرح والسرور.

أما التسليية في الاصطلاح، فقد ذكر المناوي أنها: "تخفيف ما في النفس من الحزن"⁽¹⁾. وجاء في "سلسلة التفسير" أن التسليية: المواساة"⁽²⁾.

إن المتأمل للتعريف الاصطلاحي للتسليية يتبين له أنه لا يبتعد كثيراً عن المعنى اللغوي، فهما يفضيان في النهاية إلى معنى واحد وهو التخفيف عن المصاب بتعزيتة ومواساته وجبر خاطره إلا أن المعنى الاصطلاحي أضاف لنا الغاية من هذه التسليية، وهي إزالة الحزن الذي يثبت النفس.

ثانياً: التسليية في السياق القرآني ودلالاتها

لم يرد لفظ التسليية بهذا التركيب مطلقاً في القرآن الكريم غير أنه ورد لفظ قريب منه، وهو لفظ "السلوى"، وأما لفظ التسليية فكان من ضمن أقوال العلماء.

1. السلوى في القرآن الكريم

ورد لفظ السلوى في القرآن الكريم في ثلاثة مواضع، وهي على النحو الآتي:

الرقم	الآية	رقم الآية	السورة	مكية/مدنية
1	قال تعالى: "وَضَلَّلْنَا عَلَيْكُمُ الْغَمَامَ وَأَنْزَلْنَا عَلَيْكُمُ الْمَنَّاءَ وَالسَّلْوىَ كُلُوا مِنْ طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ وَمَا ظَلَمُونَا وَلَكِنْ كَانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ"	57	البقرة	مدنية
2	قال تعالى: "قَدْ عَلِمَ كُلُّ أُنَاسٍ مَشْرَبَهُمْ وَضَلَّلْنَا عَلَيْهِمُ الْغَمَامَ وَأَنْزَلْنَا عَلَيْهِمُ الْمَنَّاءَ وَالسَّلْوىَ .."	160	الأعراف	مكية
3	قال تعالى: "وَوَاعَدْنَاكُمْ جَانِبَ الطُّورِ الْأَيْمَنِ وَنَزَّلْنَا عَلَيْكُمُ الْمَنَّاءَ وَالسَّلْوىَ".	80	طه	مكية

واختلف علماء التفسير في تفسير لفظ "السلوى" على أقوال، وهي على النحو الآتي:

- (1) المناوي، عبد الرؤوف. فيض القدير 6 مج. طبعة: 1، سنة: 1356 هـ. مصر: المكتبة التجارية. (405/1).
- (2) العدوي، أبو عبد الله مصطفى. سلسلة التفسير. (13/22).

ذكر ابن كثير: أن السلوى: طائر يشبه السمانى، ونقل ذلك عن ابن عباس رضى الله عنه⁽¹⁾. وقال ابن عطية: إن "السلوى" طير بإجماع المفسرين⁽²⁾. غير أن القرطبي ذكر أن نقل الإجماع في ذلك لا يصح⁽³⁾. وذكر القرطبي: أنه العسل⁽⁴⁾. وذكر الراغب: "والسلوى أصله ما يسلى الإنسان، ومنه السلوان والتسلي..⁽⁵⁾ وذكر السمين الحلبي قولاً يشبه قول الراغب فذكر أن السلوى من التسلي والسلوان وأنها ما يسلى الإنسان من أحزانه وكمدته⁽⁶⁾.

ولعل الارتباط واضح بين التسلية بمعنى التخفيف عما في النفس ولفظ السلوان بمعنيين، فعلى اعتبار أنه طائر ذكر الجياني في "التبيان في تفسير غريب القرآن" السلوى طائر يشبه السمانى لا واحد له، قيل: واشتقاق السلوى من السلوة لأنه لطيبه يسلى..⁽⁷⁾ وعلى اعتبار أن المقصود به العسل فقد قال الفارسي في سر تسمية العسل بذلك: "لأنه يسلى عن غيره من الطعام..⁽⁸⁾ فوجود العسل عند المرء يخفف عنه الحاجة إلى غيره من أصناف الطعام والشراب والدواء يقول ابن القيم وهو يتحدث عن منافع العسل: "وهو غذاء مع الأغذية، ودواء مع الأدوية، وشراب مع الأشربة، وحلو مع الحلو، وطلاء مع الأطيئة، ومفرح مع المفرحات.

فما خلق لنا شيء في معناه أفضل منه ولا مثله ولا قريباً منه"⁽⁹⁾. وأما المعنى الذي ذكره الراغب والسمين الحلبي فصريح بأن السلوى ما يخفف عن المرء أحزانه، وهي بهذا المعنى تتفق مع معنى التسلية.

- (1) ينظر: ابن كثير، إسماعيل بن عمر. تفسير القرآن العظيم 8 مج. تحقيق: سامي بن محمد سلامة. طبعة: 2، سنة: 1420 هـ. (271/1).
- (2) ابن عطية، عبد الحق بن غالب. المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز. تحقيق: عبد السلام عبد الشافي. طبعة: 1، سنة: 1422 هـ. بيروت: دار الكتب العلمية. (149/1).
- (3) ينظر: القرطبي. محمد بن أحمد بن أبي بكر. الجامع لأحكام القرآن. تحقيق: أحمد البردوني، وآخرون. طبعة: 2، سنة: 1384 هـ. القاهرة: دار الكتب المصرية (407/1).
- (4) ينظر: القرطبي. الجامع لأحكام القرآن. (407/1).
- (5) الراغب، حسين بن محمد. تفسير الراغب. تحقيق: محمد عبد العزيز. طبعة: 1، سنة: 1420 هـ. طنطا: كلية الآداب. (200/1).
- (6) ينظر: السمين الحلبي، أحمد بن يوسف. عمدة الحفاظ في تفسير أشرف الألفاظ 4 مج. تحقيق: محمد باسل عيون. طبعة: 1، سنة 1417 هـ. (219/2).
- (7) الجياني، أحمد بن محمد الهائم. التبيان في تفسير غريب القرآن. تحقيق: فتحى أنور. طبعة: 1، سنة: 1992 م. القاهرة: دار الصحابة. (87/1).
- (8) ابن سيده، على بن إسماعيل. المخصص 5 مج. تحقيق: خليل إبراهيم جفال. طبعة: 1، سنة: 1417 هـ. بيروت: دار إحياء التراث العربى. (10/4).
- (9) ابن القيم، محمد بن أبي بكر. زاد المعاد في هدي خير العباد. طبعة: 27. بيروت: مؤسسة الرسالة. (32/4).

2. التسليية في القرآن الكريم

هناك الكثير من الآيات الواردة في القرآن الكريم والتي تتجاوز المائة والسبعين آية⁽¹⁾ ذكر كثير من أهل التفسير في كتبهم⁽²⁾ أنها تفيد معنى التسليية مع أنها لم تستعمل هذا التركيب "التسليية"، وهذا هو مناط هذه الدراسة. وقبل البدء بالوقوف مع هذه الآيات لا بد من الإشارة إلى قضية مهمة، وهي أن اعتبار الآية تحتوي على التسليية أم لا هي قضية اجتهادية، فقد تجد أن واحداً من علماء التفسير ذكر آية وعدها من آيات التسليية في حين تجد أن آخر مر عليها ولم يعدها من آيات التسليية، فلهذا قد يكون من الصعب أو من المستحيل أن يقطع الباحث بعدد معين لآيات التسليية في القرآن الكريم.

3. الدلالات المستفادة من خلال التأمل في آيات التسليية

إن الانتشار الكبير للآيات التي تفيد التسليية في القرآن الكريم والتي فيها تسليية لقلوب المؤمنين ليبدل دلالة قطعية على الصلة الوثيقة بين الخالق والمخلوق وبين المنهج والواقع.

إن التأمل لآيات التسليية يجد أن أكثرها مكية، وهذا يتناسب بشكل واضح مع ذلك الظرف الذي كان يحياه النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه في تلك الفترة من استضعاف، يقول أبو زهرة: "السور المكية فيها إشارة إلى الاستضعاف"⁽³⁾. فقد واجهت قريش النبي عليه السلام وأصحابه بكل الوسائل، قتل وتعذيب وتشريد وتهجير، وتتضح الصورة حين تقرأ ما جاء في "ظلال القرآن" تحت تفسير سورة الفرقان، كنموذج يظهر من خلاله غاية من الغايات الكبرى للسور المكية: "هذه

(1) ينظر: (البقرة آية: 6، 75، 99، 100، 101، 102، 103، 118، 137، 145، 150، 183، 184، 194، 214، 234). (آل عمران آية: 36، 137، 138، 139، 140، 151، 152، 164، 176، 178، 181، 184، 185، 196، 197، 198). (النساء آية: 153، 166). (المائدة آية: 11، 41، 64، 68). (الأنعام آية: 10، 36، 42، 89، 112). (الأعراف آية: 18، 59، 84). (الأنفال آية: 59). (التوبة آية: 48، 123). (يونس آية: 39، 43، 65، 71، 73، 99، 100، 109). (هود آية: 12، 36، 109، 120، 123). (يوسف آية: 29، 103، 110). (الرعد آية: 32). (إبراهيم آية: 42، 47). (الحجر آية: 10، 11، 42، 87، 88، 92، 97). (النحل آية: 62، 63، 82، 113، 128). (الإسراء آية: 60، 96، 107، 108، 109). (الكهف آية: 6، 7). (مريم آية: 24، 84). (طه آية: 2). (الحج آية: 40، 41، 42، 43، 44، 52، 70). (المؤمنون آية: 30). (النور آية: 11). (الفرقان آية: 10، 20، 31، 32، 35، 36). (الشعراء آية: 3، 121، 123، 218، 219، 227). (النمل آية: 7، 70، 78، 93). (العنكبوت آية: 48). (لقمان آية: 23). (السجدة آية: 23). (الأحزاب آية: 21، 70، 71). (سبا آية: 33، 34، 45). (فاطر آية: 4، 8، 18، 24، 25، 26). (يسن آية: 14، 76). (فصلت آية: 45، 46، 53). (الصفات آية: 171، 172، 173). (ص آية: 14، 17). (الزمر آية: 45، 46). (غافر آية: 51). (الشورى آية: 6). (الزخرف آية: 7، 8، 23، 40، 41، 42). (الدخان آية: 17). (الجاثية آية: 17). (الأحقاف آية: 21). (محمد آية: 12). (الفتح آية: 15). (ق آية: 14، 45). (الذاريات آية: 24، 52، 53، 54). (الطور: 45، 48). (النجم آية: 29). (الملك آية: 18). (نوح آية: 7). (النازعات آية: 15). (البروج آية: 21). (الغاشية آية: 25، 26). (البلد آية: 2). (الشمس آية: 11). (الشرح آية: 5، 6). (الفيل: 1-5).

(2) سيوقف عليها من خلال عرضها والاستشهاد بها في ثنايا هذه الدراسة إن شاء الله تعالى.

(3) أبو زهرة، محمد. زهرة التفاسير 10 مج. دار الفكر العربي. (76/1).

السورة المكية تبدو كلها وكأنها إيناس لرسول الله صلى الله عليه وسلم وتسرية، وتطمين له وتقوية وهو يواجه مشركي قريش، وعنادهم له، وتطاولهم عليه⁽¹⁾.

وأيضاً إن أكثر آيات التسلية موجهة للنبي عليه السلام، وهذا إن دل فإنه يدل على عظم قدر النبي عليه الصلاة والسلام ومكانته عند ربه، فهذا التعاهد المستمر للنبي عليه الصلاة والسلام ليدل دلالة قطعية على ذلك. ومما يؤكد عظم هذه المكانة قول النبي عليه الصلاة والسلام: "أنا سيد ولد آدم يوم القيامة وأول من ينشق عنه القبر وأول شافع وأول مشفع"⁽²⁾. وأيضاً هذا بذاته فيه تسلية لأهل الإيمان فعندما يقرأ المؤمن آيات التسلية ويرى أن أكثرها موجهة للنبي عليه الصلاة والسلام فإن في هذا تسلية ومواساة لقلبه ودافعا له على الصبر والثبات.

إن الآيات تعرضت لذكر تسلية الله تعالى للسابقين من الأنبياء والمرسلين، والأولياء الصالحين وفي هذا بيان أن التسلية ليست حدثاً جديداً بل هي سنة الله تعالى في خلقه.

إن الآيات عرضت الأساليب التي استعملها القرآن الكريم في التسلية:

- الوعد والوعيد، الوعد بدخول الجنة والوعيد بدخول النار.
- وعد أهل الإيمان بالنصر، ووعد الكفار بالهزيمة، يقول ابن جزى: "ومنها تسلية عليه السلام ووعد بالنصر كما نصر الأنبياء الذين من قبله"⁽³⁾.
- التسلية بذكر أخبار السابقين من الأنبياء والمرسلين والأولياء والصالحين وبيان مواقفهم مع المكذبين. وقد ذكر الرازي أن من فوائد وأسرار ذكر قصص السابقين وبيان أحوالهم تسلية النبي عليه السلام والتخفيف عن قلبه⁽⁴⁾. وهكذا.

ثم إن المتأمل للآيات يجد أنها حملت في طياتها جملة لا بأس بها من وجوه البلاء التي يتعرض لها أهل الإيمان، والتي مع وقوعها يحتاجون إلى التسلية والمواساة، وقد تنوعت وجوه الابتلاءات: "فتارة بالتكذيب، وتارة بالاستهزاء، وتارة بالتهديد، وتارة بالتعذيب، وتارة بالافتراء.. وهكذا بدءاً من الأنبياء السابقين ثم مروراً بالنبي الكريم والصحب الأخيار، وهذا هو الحال إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها.

المبحث الثاني: نماذج من تسلية الله تعالى لأنبيائه المرسلين

إن الناظر في كتاب الله عز وجل، والمتأمل لآياته، يجد أن القرآن الكريم قصص على النبي عليه الصلاة والسلام وعلى الأمة من بعده أخبار الأنبياء السابقين وما مروا به من أحداث، وذلك

-
- (1) قطب، سيد إبراهيم حسين الشاربي في ظلال القرآن. طبعة 17 بيروت دار الشروق. (298/5).
 - (2) مسلم، أبو الحسين بن الحجاج. صحيح مسلم. تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي. بيروت: دار إحياء التراث العربي. (ج: 2278). (كتاب الفضائل). (باب تفضيل نبينا صلى الله عليه وسلم). (1782/4).
 - (3) ابن جزى، محمد بن أحمد (ت: 741هـ). التسهيل لعلوم التنزيل. تحقيق عبد الله الخالدي. طبعة 1. سنة 1416هـ. بيروت دار الأرقم (10/1).
 - (4) ينظر: الرازي، محمد بن عمر بن الحسين. مفاتيح الغيب من القرآن الكريم 32 مج. (2005/1).

تسليية لقلوبهم وتثبييتاً لهم على الطريق القويم، "فإن الله تعالى يُسَلِّي رَسُولَهُ صلى الله عليه وسلم بما يَقُصُّهُ عَلَيْهِ مِنْ قِصَصِ الْأَنْبِيَاءِ الْكَرَامِ، وَمَا لَقُوهُ مِنَ الْمُكَذِّبِينَ مِنْ أَقْوَامِهِمْ⁽¹⁾. ويعرض هذا المبحث جملة من النماذج التي ذكرها القرآن الكريم من تسليية الله تعالى للأنبياء والمرسلين. وسيكون الحديث في هذه الصفحات عن خير الأنبياء والمرسلين، إنهم أولوا العزم من الرسل، وهم- نوح، إبراهيم، موسى، عيسى، محمد عليه السلام-⁽²⁾، وما هذا إلا تجنباً للتطويل.

أولاً: ذكر القرآن الكريم لتسليية محمد عليه الصلاة والسلام

انتشرت تسليية النبي عليه الصلاة والسلام انتشاراً كبيراً في كتاب الله تعالى، كيف لا وهو صلى الله عليه وسلم المخاطب الأول بالقرآن الكريم، وشملت هذه التسليية جوانب عدة، وجاءت بأساليب متعددة.

بدأ النبي عليه الصلاة والسلام بدعوة قومه بأمر من الله تعالى، وهذا ظاهر في قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ * قُمْ فَأَنْذِرْ﴾⁽³⁾. أي: "شمر عن ساق العزم وأنذر الناس"⁽⁴⁾ فقام صلى الله عليه وسلم ودعا إلى الله تعالى وما هداً له جسد حتى هدأت أنفاسه صلى الله عليه وسلم، فكذبه قومه، فسلاه الله تعالى، وأنس قلبه بقوله: ﴿وَإِنْ يُكَذِّبُوكَ فَقَدْ كَذَّبَتْ رُسُلٌ مِنْ قَبْلِكَ ۖ وَإِلَى اللَّهِ تُرْجَعُ الْأُمُورُ﴾ يقول ابن عجيبة: فلك فيهم أسوة، فاصبر كما صبروا. وتكثير "رسل" للتعظيم، المقتضي لزيادة التسليية، والحث على المصابرة، أي: فقد كُذِّبَتْ رسل عظام، ذوو عدد كثير، فإن يكذبوك فتأس بتكذيب الرسل قبلك..⁽⁵⁾.

وأكد الله تعالى صدقه عليه الصلاة والسلام قال الله تعالى: ﴿وَالنَّجْمِ إِذَا هَوَىٰ * مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ وَمَا غَوَىٰ * وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ * إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ﴾⁽⁶⁾. وأي: تسليية أعظم من قسم الله تعالى على صدق نبيه عليه الصلاة والسلام. واتهموه بالجنون ففاه الله تعالى عنه بقوله: ﴿مَا أَنْتَ بِنِعْمَةِ رَبِّكَ بِمَجْنُونٌ﴾⁽⁷⁾. وفي هذه الآية تسليية للنبي صلى الله عليه وسلم عما أصابه من المشركين، ودفع تهمهم الباطلة دفعا يأتي عليها من القواعد فيهدمها، وإثبات أنه رسول من عنده تعالى⁽⁸⁾.

واستهزوا به فسلاه الله تعالى بقوله: ﴿وَلَقَدْ اسْتَهْزَأَ بِرُسُلٍ مِنْ قَبْلِكَ فَحَاقَ بِالَّذِينَ سَخِرُوا مِنْهُمْ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ﴾⁽⁹⁾. يقول الطبري: في الآية تسليية من الله تعالى لنبيه محمد صلى الله عليه

- (1) حومد، أسعد. تفسير حومد. (3236/1).
- (2) ذكر هذه الأسماء أكثر أهل التفسير منهم (الطبري. جامع البيان. 145/22). (ابن كثير، تفسير القرآن العظيم. 305/7) وغيرهم.
- (3) سورة المدثر: آيات 1-2.
- (4) ابن كثير. تفسير القرآن العظيم (262/8).
- (5) الإدريسي. البحر المديد (157/6).
- (6) سورة النجم: آيات 1-4.
- (7) سورة القلم: آية 2.
- (8) طنطاوي. التفسير الوسيط (39/15).
- (9) سورة الأنعام: آية 10.

وسلم، بوعيده المستهزئين به بالعقاب كما وقع ذلك للمستهزئين من أسلافهم، ليمض عليه الصلاة والسلام لما أمره الله تعالى به من الدُّعاء إلى توحيده والإقرار به والإذعان لطاعته⁽¹⁾.

وأذوه إيذاء شديدا فأنسه الله تعالى وسلاه قال الله تعالى: ﴿فَاصْبِرْ كَمَا صَبَرَ أُولُو الْعِزِّ مِنَ الرُّسُلِ وَلَا تَسْتَعْجِلْ لَهُمْ كَانَهُمْ يَوْمَ يَرَوْنَ مَا يُوعَدُونَ لَمْ يَلْبَثُوا إِلَّا سَاعَةً مِنْ نَهَارٍ فَهَلْ يُهْلَكُ إِلَّا الْقَوْمُ الْفَاسِقُونَ﴾⁽²⁾ ويقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم، مثبتا إياه على المضى لما قلده من عبء الرسالة، وثقل أحمال النبوة صلى الله عليه وسلم، وأمره بالانتساء في العزم على النفوذ لذلك بأولي العزم من قبله من رسله الذين صبروا على عظيم ما لقوا فيه من قومهم من المكاره، ونالهم فيه منهم من الأذى والشدائد "فَاصْبِرْ" يا محمد على ما أصابك في الله من أذى مكذبيك من قومك⁽³⁾.

وأمام هذه الهجمة الشرسة من الإيذاء التي واجهت قريش بها النبي عليه الصلاة والسلام، كان إعلام الله تعالى لنبيه عليه الصلاة والسلام بسنته الثابتة في نصر رسله وسبلته من وسائل التسلية، يقول الله تعالى: ﴿وَلَقَدْ كَذَّبْتَ رَسُولٌ مِّن قَبْلِكَ فَاصْبِرُوا عَلَىٰ مَا كُذِّبُوا وَأَوْدُوا حَتَّىٰ أَنَاهُمْ نَصْرُنَا وَلَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَاتِ اللَّهِ وَلَقَدْ جَاءَكَ مِنْ نَّبِإِ الْمُرْسَلِينَ﴾⁽⁴⁾. يقول الطبري: "وهذا تسلية من الله تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم، وتعزية له عما ناله من المساءة"⁽⁵⁾ وأعلمه الله تعالى أيضا بسنته الثابتة في أخذ الظالمين المكذبين، يقول الله تعالى: ﴿وَإِن يَكْذِبُوا فَقَدْ كَذَّبْتَ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ وَعَادٌ وَثَمُودٌ * وَقَوْمُ إِبْرَاهِيمَ وَقَوْمُ لُوطٍ * وَأَصْحَابُ مَدْيَنَ وَكَذَّبَ مُوسَىٰ فَأَمْلَيْتُ لِلْكَافِرِينَ ثُمَّ أَخَذْتُهُمْ فَكَيْفَ كَانَ نَكِيرِ﴾⁽⁶⁾. "يقول تعالى مسلما نبيا محمدا صلى الله عليه وسلم في تكذيب من خالفه من قومه: ﴿وَإِن يَكْذِبُوا فَقَدْ كَذَّبْتَ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ﴾ إلى أن قال: ﴿وَكَذَّبَ مُوسَىٰ﴾ أي: مع ما جاء به من الآيات البينات والدلائل الواضحات ﴿فَأَمْلَيْتُ لِلْكَافِرِينَ﴾ أي: أنظرتهم وأخرتهم، ﴿ثُمَّ أَخَذْتُهُمْ فَكَيْفَ كَانَ نَكِيرِ﴾⁽⁷⁾.

ومن أساليب التسلية التي سلى الله تعالى بها نبيه عليه الصلاة والسلام أمام هذا الإيذاء والابتلاء تعهده له بالحفظ وهذا ظاهر في قوله تعالى: ﴿وَاللَّهُ يَخَصُمُكَ مِنَ النَّاسِ﴾⁽⁸⁾. والعصمة في الآية عصمة من القتل⁽⁹⁾. ففي الآية تسلية للنبي عليه الصلاة والسلام بأن الله تعالى عاصمك منهم مهما تمالؤوا عليك⁽¹⁰⁾.

- (1) الطبري. جامع البيان (271/11).
- (2) سورة الأحقاف: آية 35.
- (3) الطبري. جامع البيان (145/22).
- (4) سورة الأنعام: آية 34.
- (5) الطبري. جامع البيان (335/11).
- (6) سورة الحج: آيات 42-44.
- (7) ابن كثير. تفسير القرآن العظيم (437/5).
- (8) سورة المائدة: آية 67.
- (9) ينظر: الخازن، تفسير الخازن (74/2).
- (10) ينظر: أبو زهرة. زهرة التفاسير ص 5480.

وقد زاد البلاء على النبي عليه الصلاة والسلام بوفاة عمه أبي طالب، الذي كان يشكل درعا واقيا له صلى الله عليه وسلم، يقول ابن هشام: "فَلَمَّا هَلَكَ أَبُو طَالِبٍ نَأَلَتْ قُرَيْشٌ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَا لَمْ تَكُنْ تَطْمَعُ بِهِ فِي حَيَاةِ أَبِي طَالِبٍ"⁽¹⁾. وبعد نحو شهرين أو ثلاثة توفيت خديجة رضي الله عنها والتي كانت تحن عليه وتؤازره وتواسيه وتعينه فاهتزت مشاعر الحزن والألم في قلب رسول الله صلى الله عليه وسلم، ثم لم تزل تتوالى عليه المصائب من قومه فقد تجرؤوا عليه وأذوه، فازداد غمًا على غم، حتى يؤس منهم، وخرج إلى الطائف رجاء أن يستجيبوا لدعوته، أو يؤووه وينصروه على قومه، فما وجد ذلك منهم، بل أنه أشد الأذى⁽²⁾. فسلاه الله تعالى وأنس قلبه برحلة عظيمة -رحلة الإسراء والمعراج- فكانت إيناسا وتسليّة للنبي عليه الصلاة والسلام لما حل به من أحزان⁽³⁾.

ومن الأساليب التي سلى الله تعالى بها نبيه عليه الصلاة والسلام في هذا الطريق الشاق أمره بملازمة عبادته وطاعته، ومما جاء في إثبات ذلك قول الله تعالى: فَاصْبِرْ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ وَقَبْلَ غُرُوبِهَا وَمِنْ آنَاءِ اللَّيْلِ فَسَبِّحْ وَأَطْرَافَ النَّهَارِ لَعَلَّكَ تَرْضَى⁽⁴⁾. في هذه الآيات تسليّة للنبي عليه الصلاة والسلام⁽⁵⁾. قال السعدي: "هذا تسليّة للرسول، وتصبير له عن المبادرة إلى إهلاك المكذبين المعرضين، وأن كفرهم وتكذيبهم سبب صالح لحلول العذاب بهم، ولكن الذي أخره عنهم كلمة ربك، المتضمنة لإمهالهم وتأخيرهم، لعلهم يرجعون إليه، فيتوب عليهم، ولهذا أمر الله رسوله بالصبر على أذيتهم بالقول، وأمره أن يتعوض عن ذلك، ويستعين عليه بالتسبيح بحمد ربه، في هذه الأوقات الفاضلة، لعله إن فعل ذلك يرضى بما يعطيه ربه من الثواب العاجل والأجل، ليطمئن قلبه، وتقر عينه، وتتسلى نفسه عن الأذية"⁽⁶⁾.

وصلى الله تعالى أيضا رسوله عليه الصلاة والسلام فأعلى قدره، وغفر ذنبه، قال الله تعالى: ﴿أَلَمْ تَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ* وَوَضَعْنَا عَنكَ وِزْرَكَ* الَّذِي أَنقَضَ ظَهْرَكَ* وَرَفَعْنَا لَكَ ذِكْرَكَ﴾⁽⁷⁾. يقول الصابوني معقبا على الآيات: "شرح صدره بالإيمان، وتنوير قلبه بالحكمة والعرفان، وتطهيره من الذنوب والأوزار، وكل ذلك بقصد التسليّة لرسول الله عليه الصلاة والسلام مما يلقاه من أذى الكفار الفجار، وتطبيب خاطره الشريف بما منحه الله من الأنوار"⁽⁸⁾.

ويعد الله تعالى نبيه عليه السلام وعدا لا يخلف، وعده للسابقين من إخوانه المرسلين، ووعد به المؤمنين من عباده، إنه الوعد بالنصر والتمكين في الدنيا وإهلاك المكذبين، وجاء هذا الوعد

- (1) ابن هشام، عبد الملك بن هشام بن أيوب الحميري المعافري: السيرة النبوية، تحقيق: طه عبد الرؤوف سعد، شركة الطباعة الفنية المتحدة، (416/1).
- (2) ينظر: المباركفوري، الرحيق المختوم (94-92/1).
- (3) ينظر: الشعراوي، تفسير الشعراوي (8319/13).
- (4) سورة طه: آية 130.
- (5) ينظر: ابن كثير. تفسير القرآن العظيم (325/5).
- (6) السعدي، تفسير السعدي (516/1).
- (7) سورة الشرح: آيات 1-4.
- (8) الصابوني، محمد علي، صفوة التفاسير، مكة المكرمة: دار الصابوني. (501/3).

في جملة كبيرة من الآيات القرآنية التي يطمئن معها القلب وتنأس النفس وتتسلى، ومنها قول الله تعالى: ﴿إِنَّا لَنَنْصُرُ رُسُلَنَا وَالَّذِينَ آمَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ يَقُومُ الْأَشْهَادُ⁽¹⁾﴾. يقول ابن كثير: وهذه سنة الله تعالى في خلقه في قديم الزمان وحديثه⁽²⁾ يقول ابن عاشور: وهذا الكلام مسوق لتسليّة النبي عليه الصلاة والسلام وتسليّة المؤمنين ووعدهم بالنصر وحسن العاقبة في الدنيا والآخرة⁽³⁾.

ومنها أيضا قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ سَبَقَتْ كَلِمَتُنَا لِعِبَادِنَا الْمُرْسَلِينَ * إِنَّهُمْ لَهُمُ الْمَنْصُورُونَ * وَإِنَّ جُنَدَنَا لَهُمُ الْغَالِبُونَ⁽⁴⁾﴾. ومما سلى الله تعالى به النبي عليه الصلاة والسلام، وعده له بالدرجات العالية في الآخرة، وأي تسليّة أعظم للقلب حين يكون فيه أملا كبيرا بدار راحة لا هم فيها ولا غم ولا حزن بدار فيها ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر ومما جاء في ذلك:

— إعطاؤه نهر الكوثر، قال الله تعالى في ذلك: ﴿إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ الْكَوْثَرَ⁽⁵⁾﴾. روى الإمام مسلم من حديث أنس رضي الله عنه قال: "بينما رسول الله صلى الله عليه وسلم ذات يوم بين أظهرنا إذ أغفى إغفاء ثم رفع رأسه متبسما فقلنا ما أضحكك يا رسول الله قال أنزلت علي أنفا سورة فقرأ "بسم الله الرحمن الرحيم إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ الْكَوْثَرَ⁽⁶⁾ ثُمَّ قَالَ: "أَتَدْرُونَ مَا الْكَوْثَرُ"، فَقُلْنَا: اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ، قَالَ: "فَإِنَّهُ نَهْرٌ وَعَدْنِيهِ رَبِّي عَزَّ وَجَلَّ، عَلَيْهِ خَيْرٌ كَثِيرٌ، هُوَ حَوْضٌ تَرُدُّ عَلَيْهِ أُمَّتِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ، أَنْبِئُهُ عَدَدَ النَّجُومِ.."⁽⁶⁾ جاء في تفسير القطن "أن الخطاب في قوله تعالى ﴿إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ الْكَوْثَرَ﴾ للرسول الكريم وجاء تسليّة عما يلاقيه من أذى وأن العاقبة له"⁽⁷⁾.

— إعطاؤه الشفاعة، وهذا ظاهر في قوله تعالى: ﴿يَوْمَئِذٍ لَا تَنْفَعُ الشَّفَاعَةُ إِلَّا مَنْ أَذِنَ لَهُ الرَّحْمَنُ وَرَضِيَ لَهُ قَوْلًا⁽⁸⁾﴾. جاء في حديث مسلم عن حال الناس في أرض المحشر الطويل قول النبي عليه الصلاة والسلام: ".. فيأتوني فاستأذن على ربي فيؤذن لي فإذا أنا رأيته وقعت ساجدا فيدعني ما شاء الله فيقال يا محمد ارفع رأسك قل تسمع سل تعطه اشفع تشفع فأرفع رأسي فأحمد ربي بتحميد يعلمني ربي ثم أشفع فيحدا لي حدا فأخرجهم من النار وأدخلهم الجنة ثم أعود فأقع ساجدا فيدعني ما شاء الله أن يدعني ثم يقال ارفع رأسك يا محمد قل تسمع سل تعطه اشفع تشفع.."⁽⁹⁾ وأي تسليّة أعظم من هذه فقد فضلناك يا محمد على جميع رسلنا بل على جميع الخلائق إطلاقا وأعطيناك الشفاعة العظمى⁽¹⁰⁾.

- (1) سورة غافر: آية 51.
- (2) ينظر: ابن كثير. تفسير القرآن العظيم (150/7).
- (3) ينظر: ابن عاشور. التحرير والتنوير (31/13).
- (4) سورة الصافات: آيات 173-171.
- (5) سورة الكوثر: آية 1.
- (6) مسلم، صحيح مسلم (ح: 53) (كتاب الصلاة) (باب حجة من قال البسملة آية من أول كل سورة) (300/1).
- (7) القطن، تفسير القطن (454/3).
- (8) سورة طه: آية 109.
- (9) مسلم، صحيح مسلم (ح: 193) (كتاب الإيمان) (باب أدنى أهل الجنة منزلة) (180/1).
- (10) ينظر: طنطاوي، التفسير الوسيط (4532/1).

— وعده بالآخرة ونعيمها، وهذا ظاهر في قوله تعالى: ﴿وَلِلْآخِرَةِ خَيْرٌ لَّكَ مِنَ الْأُولَى﴾ (1). "أي: وللدار الآخرة، وما أعد الله لك فيها، خير لك من الدار الدنيا وما فيها. يقول: فلا تحزن على ما فاتك منها، فإن الذي لك عند الله خير لك منها" (2).

ثانيا ذكر القرآن الكريم لتسليية نوح عليه السلام

قصة نوح عليه السلام من القصص التي تنتشر في كتاب الله عز وجل، فهي قصة تكررت في سور عديدة، وبأساليب متنوعة، وذكر اسم نوح عليه السلام في القرآن الكريم في ثلاثة وأربعين موضعا، وإن المتأمل لهذه المعطيات يعلم يقينا أن لخبره عليه السلام مع قومه شأن عظيم لا بد لنا أن نقف معه لنأمل فيه ونتعظ.

إن المتأمل لدعوة نوح عليه السلام يرى أنه كان في شدة لا يعلم قدرها إلا الله تعالى، فقد قابله قومه بكفر واستهزاء وجحود، ولكن سنة الله تعالى في خلقه التي لا تتغير ولا تتبدل تسليية الأتباع ومواساتهم، تلك التسليية التي تربط على الجراح وترفع الهمم. وقد نبأنا القرآن الكريم عن تسليية الله تعالى لنبيه نوح عليه السلام قال الله تعالى: "وأوحى إلى نوح أنه لن يؤمن من قومك إلا من قد آمن فلا تَبْتَئِسْ بِمَا كَانُوا يَفْعَلُونَ" (3). وحرف لن يدل على تأييد النفي في المستقبل، وذلك شديد عليه، ولذلك عقب الله تعالى بتسلييته بجملة "فلا تَبْتَئِسْ بِمَا كَانُوا يَفْعَلُونَ" فالفاء لتفريع التسليية على الخبر المحزن، والابتئاس: افتعال من البؤس، وهو الهم والحزن والأسى، أي: لا تحزن (4). وقيل: "جرى" "فلا تستكن ولا تحزن" (5). فالمعنى: "يخبر تعالى أنه أوحى إلى نوح لما استعجل قومه نقمة الله بهم وعذابه لهم، فدعا عليهم نوح دعوته التي قال الله تعالى مخبرا عنه أنه قال: "وَقَالَ نُوحٌ رَبِّ لَا تَذَرْ عَلَى الْأَرْضِ مِنَ الْكَافِرِينَ دَيَّارًا" (6). "فَدَعَا رَبُّهُ أَنِّي مَغْلُوبٌ فَأَنْتَصِرْ" فانتصر لك ولدينك فأني غلبت وعجزت عن الانتصار" (7)، فعند ذلك أوحى الله تعالى إليه: "أَنَّهُ لَنْ يُؤْمِنَ مِنْ قَوْمِكَ إِلَّا مَنْ قَدْ آمَنَ فَلَا تَبْتَئِسْ بِمَا كَانُوا يَفْعَلُونَ" "فلا تحزن عليهم ولا يَهْمَنَّكَ أَمْرُهُمْ" (8)، وقوله تعالى: "فَلَا تَبْتَئِسْ بِمَا كَانُوا يَفْعَلُونَ" (تسليية لنوح عليه السلام عما أصابه من أذى قومه) (9). فأخذهم الله وأغرقهم قال الله تعالى: "فَأَخَذَهُمُ الطُّوفَانُ وَهُمْ ظَالِمُونَ" (10). وما أجمل الكلمات التي ختم بها سيد قطب الحديث عن قصة نوح عليه السلام والتي تظهر رعاية الله تعالى وتسلييته للثلة المؤمنة وإن قلت، قال: إن وجود البذرة المسلمة فوق هذه الأرض شيء عظيم في ميزان الله تعالى

- (1) سورة الضحى: آية 4.
- (2) الطبري، جامع البيان (487/24).
- (3) سورة هود: آية 36.
- (4) ينظر: ابن عاشور، التحرير والتنوير. (212/7).
- (5) الطبري، جامع البيان. (306/15).
- (6) سورة نوح: آية 26.
- (7) الرازي، مفاتيح الغيب. (33/29).
- (8) ابن كثير، تفسير القرآن العظيم. (319/4).
- (9) ينظر: طنطاوي، التفسير الوسيط. (201/7).
- (10) سورة العنكبوت: آية 14.

وشيء يستحق منه سبحانه وتعالى أن يدمر الجاهلية وأرضها وعمرانها ومنشأتها وقواها ومدخراتها جميعاً؛ كما ويستحق منه سبحانه وتعالى أن يكلاً هذه البذرة المؤمنة ويرعاها حتى تسلم وتتجو وترث الأرض وتعمرها من جديد! (1).

ثالثاً: ذكر القرآن الكريم لتسليّة إبراهيم عليه السلام

إبراهيم عليه السلام خليل الرحمن وأبو الأنبياء عليهم السلام (2)، مدحه ربه مدحاً عظيماً في مواضع عدة من القرآن الكريم وسميت باسمه سورة من سوره. وإذا نظرت في الكتاب العزيز رأيت أن اسم إبراهيم عليه السلام تكرر تسعا وستين مرة، وانتشر الحديث عنه في خمس وعشرين سورة من سوره.

إن المتأمل لدعوة إبراهيم عليه السلام يرى أنه كان في شدة لا يعلم قدرها إلا الله ولا تختلف كثيراً عن سابقه من المرسلين، وإن الله قد بين لنا أن نوحاً عليه السلام قد آمن معه القليل في قوله تعالى: "وَمَا آمَنَ مَعَهُ إِلَّا قَلِيلٌ" (3). غير أن إبراهيم الخليل عليه السلام لم يؤمن معه إلا لوط عليه السلام يظهر ذلك في قوله تعالى فَأَمَّنَ لَهُ لُوطٌ وَقَالَ إِنِّي مُهَاجِرٌ إِلَى رَبِّي إِنَّهُ هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ (4). "فَأَمَّنَ لَهُ لُوطٌ" يشعر بأن لوطاً عليه السلام وحده، هو الذي لبى دعوة إبراهيم عليه السلام، وصدقه في كل ما أخبر به (5). فكانت حصيلة دعوة إبراهيم عليه السلام بعد كذا سنة إيمان واحد به - لوط عليه السلام - وفي هذا تسليّة للرسول الكريم صلى الله عليه وسلم (6). ثم أنجا الله عز وجل إبراهيم عليه السلام ولوطاً عليه السلام من القوم الظالمين وهذا ظاهر في قوله تعالى: "وَنَجَّيْنَاهُ وَلُوطًا إِلَى الْأَرْضِ الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا لِلْعَالَمِينَ" (7). وهذه نجاة ثانية له عليه السلام بعد نجاته من ضر النار، وهي نجاته من الحلول بين قوم عدو له كافرين بربه وربهم، فهي نجاة من دار الشرك، وكانت هجرته عليه السلام أول هجرة في الأرض من أجل الدين (8). فمن هنا بدأت تسليّة القرآن الكريم لإبراهيم عليه السلام، فبعد هذا البلاء العظيم يؤمن له لوط عليه السلام هو واحد في العدد لكنه أمة في الميزان، فلقد اصطفاه الله تعالى لرسالته. ثم تتوالي على إبراهيم عليه السلام النعم التي تسلي النفس وتجبر خاطر فبعدما ترك عليه السلام أرضه، وانتقل إلى أرض أخرى، رزقه الله تعالى بأبناء كلهم أنبياء، جاء في البحر المحيط: "ولمّا فارق الكفار وأرضهم أبدله منهم أولاداً

- (1) ينظر: قطب. في ظلال القرآن. (1892/4).
- (2) ينظر: الجزائري، جابر بن موسى. أيسر التفاسير لكلام العلي الكبير. طبعة: 5، سنة: 1424 هـ. المدينة المنورة: مكتبة العلوم والحكم. (252/1).
- (3) سورة هود: آية 40.
- (4) سورة العنكبوت: آية 26.
- (5) طنطاوي. التفسير الوسيط. (29/11).
- (6) ينظر: الجزائري. أيسر التفاسير. (126/4).
- (7) سورة الأنبياء: آية 71.
- (8) ينظر: ابن عاشور. التحرير والتنوير. (260/9).

أنبياء، والأرض المقدسة فكان فيها ويتردد إلى مكة فولد له إسحاق وابنه يعقوب تسليية له وشدا لعضده"⁽¹⁾.

رابعاً: ذكر القرآن الكريم لتسليية موسى عليه السلام

موسى بن عمران، كليم الله تعالى. انتشرت قصته انتشاراً كبيراً في كتاب الله تعالى، فهي أكبر قصة فيه، لأن أحداثها تعالج قصة أسوأ البشر في التاريخ⁽²⁾. وقد ذكر اسم موسى عليه السلام مائة وست وثلاثين مرة⁽³⁾. قال صاحب الإتيان: "كاد القرآن أن يكون كله موسى"⁽⁴⁾.

تظهر تسليية موسى عليه السلام في جوانب متعددة من حياته، كانت بدايتها بعد خروجه من مصر خائفاً يترقب.. فقد وقعت إرادة الله التي جبرت خاطره، ومسحت على آلامه وخففت من أحزانه، فبعد تلك الطاعة التي صنعها عليه السلام وسقايتها للفتاتين، وإقراره بفقره وضعفه بين يدي الله تعالى، واساه جل وعلا وجبر خاطره ببيت هاني، وزوجة حبيبة، وعمل "وأحسن خير للغريب وجود مأوى له يطعم فيه ويبيت وزوجة يأنس إليها ويسكن فكان استجابة الله له بأن ألهم شعيباً أن يرسل وراءه لينزله عنده ويزوجه بنته، كما أشعرت بذلك فاء التعقيب في قوله تعالى: "فجاءته إحداهما"⁽⁵⁾ "فجاءته إحداهما تمشي على استحياء قالت إن أبي يدعوك ليجزيك أجر ما سقيت لنا فلما جاءه وقص عليه القصص قال لا تخف نجوت من القوم الظالمين" (25) قالت إحداهما يا أبت استأجره إن خير من استأجرت القوي الأمين (26) قال إني أريد أن أنكحك إحدى ابنتي هاتين على أن تأجرني ثمانين جج فإن أتممت عشراً فمن عندك وما أريد أن أشق عليك ستجدني إن شاء الله من الصالحين (27) قال ذلك بيبي وبينك أيما الأجلين قضيت فلا عدوان علي والله على ما نقول وكيل"⁽⁶⁾. مضت السنوات العشر، التي قضاها موسى عليه السلام أجيراً عند الشيخ الكبير في مدين، ووفى كل واحد منهما بما وعد به صاحبه، وتزوج موسى عليه السلام بإحدى ابنتي الشيخ الكبير، وقرر أن يرجع بأهله إلى بلده مصر⁽⁷⁾ ويظهر هذا جلياً في قوله تعالى: "فلما قضى موسى الأجل وسار بأهله أنس من جانب الطور نارا قال لأهله امكثوا إني أنست نارا لعلني آتيكم منها بخبر أو جذوة من النار لعلكم تصطلون"⁽⁸⁾. وفي قوله تعالى: "لعلني آتيكم منها بخبر" يقول الرازي: "دلالة على أنه ضل، وفي قوله: "ر ي" دلالة على البرد"⁽⁹⁾ فسلك بهم

- (1) أبو حيان، محمد بن يوسف بن علي. البحر المحيط في التفسير. تحقيق: صدقي محمد جميل. بيروت: دار الفكر. (272/7).
- (2) ينظر: الشعراوي. تفسير الشعراوي. (ص 34).
- (3) ينظر: اللحام، محمد سعيد. المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم، روجعت على طبعة: محمد فؤاد عبد الباقي. طبعة: 2، سنة: 1424 هـ. بيروت: دار المعرفة. (ص 894).
- (4) السيوطي، جلال الدين. الإتيان في علوم القرآن. تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم. (199/1).
- (5) المرجع السابق.
- (6) سورة القصص: آيات 25-28.
- (7) ينظر: طنطاوي. التفسير الوسيط. (400/10).
- (8) سورة القصص: آية 29.
- (9) الرازي. مفاتيح الغيب. (593/24).

في ليلة مطيرة مظلمة باردة⁽¹⁾ وضل عليه السلام الطريق، لكنك إذا تأملت هذه الآية وجدت فيها تسليية جديدة لموسى عليه السلام فمع هذا الكرب الذي وقع فيه والشدة التي حلت عليه، إذ به يبصر من بعيد نارا فخفف ما رآه جملة من آلامه فقد أنس واطمأن عند رؤيتها "فمعنى" أنس" أبصر ورأى أو أحسن بشيء من الأنس"⁽²⁾. ثم تتوالى التسليية لموسى عليه السلام، فلما نبئ بالرسالة وجاءه الأمر بأن يرحل إلى فرعون تذكر عليه السلام ما كان بينه وبين فرعون وقومه من عداوة، فقال: " قَالَ رَبِّ إِنِّي قَتَلْتُ مِنْهُمْ نَفْسًا فَأَخَافُ أَنْ يَقْتُلُونِ " إذا ذهبت إليهم بهذه الآيات، وهو عليه السلام لا يقول ذلك هروبا من تبليغ رسالة الله تعالى، وإنما قال ذلك ليستعين برعايته عز وجل، وبحفظه عندما يذهب إلى هؤلاء الطغاة الفاسقين⁽³⁾. وهذا ظاهر في قوله تعالى: " قَالَ رَبِّ إِنِّي قَتَلْتُ مِنْهُمْ نَفْسًا فَأَخَافُ أَنْ يَقْتُلُونِ.."⁽⁴⁾. وها هي الآيات تبرز من جديد تسليية الله عز وجل لموسى عليه السلام وجبره لخطره وتأييده بأخيه، وطمأنته بأن النصر والغلبة لهما ولمن آمن معهما⁽⁵⁾. وهذا ظاهر أيضا في قوله تعالى: " قَالَ رَبِّ إِنِّي أَخَافُ أَنْ يُكَذِّبُونِ * وَيَضِيقُ صَدْرِي وَلَا يَنْطَلِقُ لِسَانِي فَأَرْسِلْ إِلَى هَارُونَ * وَلَهُمْ عَلَيَّ ذَنْبٌ فَأَخَافُ أَنْ يَقْتُلُونِ * قَالَ كَلَّا فَادْهَبَا بِآيَاتِنَا إِنَّا مَعَكُمْ مُسْتَمْعُونَ "⁽⁶⁾. والمقصود من قوله تعالى: " إِنَّا مَعَكُمْ مُسْتَمْعُونَ " "أي: سامعون ما يقال لكما، وما يجري بينكما وبين فرعون، وتعليل هذا التعبير؛ للردع عن الخوف، ومزيد تسليية لهما، بضمان كمال الحفظ والنصر لهما⁽⁷⁾. وعاد موسى عليه السلام إلى مصر، وأخبر أخاه هارون عليه السلام بما حدث بينه وبين الله عز وجل، ليشركه في تبليغ الرسالة، ويساعده في إخراج بني إسرائيل من مصر، ففرح هارون عليه السلام بذلك، وأخذ يدعو مع موسى عليه السلام ويشركه في نشر رسالته⁽⁸⁾. ومن مشاهد التسليية أيضا لموسى عليه السلام التي ذكرها القرآن الكريم، أن بني إسرائيل بعد هلاك فرعون وزمرته عاشوا في أمان وسلام، وأصبحوا بحاجة إلى شريعة تنظم لهم حياتهم، فأوحى الله تعالى إلى نبيه موسى عليه السلام أن يخرج بمفرده إلى مكان معين، ليعطيه الشريعة، فاستخلف موسى عليه السلام أخاه هارون عليه السلام على قومه⁽⁹⁾، وذهب للقاء الله تعالى " وَلَمَّا جَاءَ مُوسَى لِمِيقَاتِنَا وَكَلَّمَهُ رَبُّهُ قَالَ رَبِّ أَرْنِي أُنْظُرُ إِلَيْكَ " قَالَ لَنْ نَرَاكَ وَلَكِنْ نُنْظِرُ إِلَى الْجَبَلِ فَإِنْ اسْتَقَرَّ مَكَانَهُ فَسَوْفَ نَرَاكَ فَلَمَّا تَجَلَّى رَبُّهُ لِلْجَبَلِ جَعَلَهُ دَكًّا وَخَرَّ مُوسَى صَعْفًا " فَلَمَّا أَفَاقَ قَالَ سُبْحَانَكَ تُبْتُ إِلَيْكَ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُؤْمِنِينَ * قَالَ يَا مُوسَى إِنِّي اصْطَفَيْتُكَ عَلَى النَّاسِ بِرِسَالَاتِي وَبِكَلَامِي فَخُذْ مَا آتَيْنَاكَ وَكُنْ مِنَ الشَّاكِرِينَ "⁽¹⁰⁾. "وفي قوله تعالى " وَلَكِنْ نُنْظِرُ " تسليية لموسى عليه السلام وتلطف معه في الخطاب، وتكريم له، وتعظيم لأمر الرؤية، وأنه لا يقوى عليها إلا من قواه الله

- (1) ابن كثير. تفسير القرآن العظيم. (234/6).
- (2) الشعراوي. تفسير الشعراوي. (ص 3209).
- (3) ينظر: طنطاوي. التفسير الوسيط. (404/10).
- (4) سورة القصص: آية 33.
- (5) ينظر: حومد، أسعد. أيسر التفاسير. (3169/1).
- (6) سورة الشعراء: آيات 12-15.
- (7) ينظر: الإدريسي. البحر المديد. (240/5).
- (8) ينظر: الشحود. الخلاصة في حياة الأنبياء. (184/1).
- (9) ينظر: المرجع السابق (193/1).
- (10) سورة الأعراف: آيات 143-144.

بمعونته⁽¹⁾. وذكر أيضا: أنه لما طلب موسى عليه السلام رؤية ربه تعالى ومنعه من ذلك، عدد له وجوه نعمه العظيمة عليه، وأمره تعالى بشكرها كأنه يقول له: إن كنت قد منعتك الرؤية فقد أعطيتك من النعم العظيمة كذا وكذا، فلا يضيق صدرك ولا تحزن بسبب منع الرؤية، وانظر إلى أنواع النعم التي خصصتُك بها واشتغل بشكرها، والمراد من هذا: تسليية موسى عليه الصلاة والسلام عن منع الرؤية لربه تعالى⁽²⁾. ثم عاد عليه السلام ليواصل مع بني إسرائيل وهم ينتقلون من عناد لعناد، ومن جحود لجحود، وفي هذا تسليية للرسول صلى الله عليه وسلم عما شاهده منهم من عناد وجحود من قومه⁽³⁾.

خامسا: ذكر القرآن الكريم لتسليية عيسى عليه السلام

عيسى بن مريم عليه السلام تكرر ذكره وذكر قصته في القرآن الكريم مرات عديدة، فقد جاء ذكره عليه السلام بلفظ المسيح تارة، ولفظ عيسى، ولفظ عيسى بن مريم في القرآن الكريم في ثلاث عشرة سورة⁽⁴⁾، وفي ثلاث وثلاثين آية منه. إن المتأمل لقصة عيسى عليه السلام، يرى أنه كابد من المشاق الشيء الكثير كما هو حال الأنبياء عليهم السلام من قبله، وإن الله عز وجل قد أنسه وسلاه كما أنس من سبقه من الأنبياء والمرسلين، وإن مشاهد التسليية لعيسى عليه السلام ظاهرة لمن يتأمل في قوله تعالى عن مكر اليهود به وسعيهم لقتله "وَمَكَرُوا وَمَكَرَ اللَّهُ وَاللَّهُ خَيْرُ الْمَاكِرِينَ"⁽⁵⁾. ففي الآية التي تليها يصف الله حال مكرهم أنه في طريقه إلى الفشل وأن إرادة الله في عيسى عليه السلام فوق إرادتهم "إِذْ قَالَ اللَّهُ يَا عِيسَى ابْنِي مَتْوَفَيْكَ وَرَافِعُكَ إِلَيَّ وَمُطَهِّرُكَ مِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا وَجَاعِلُ الَّذِينَ اتَّبَعُوكَ فَوْقَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ ثُمَّ إِلَيَّ مَرْجِعُكُمْ فَأَحْكُمُ بَيْنَكُمْ فِيمَا كُنْتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ"⁽⁶⁾. فأخبار الله عز وجل لنبيه عيسى عليه السلام بمكر اليهود وبعاقبة مكرهم تسليية له وطمأنة لفوائده بإعلامه بنهاية المعركة⁽⁷⁾ وأيضا فإن في حكاية رفع المسيح وإخفائه عن أنظار أعدائه تسليية وإيناسا له، فإذا لم يتم ما يرغبه من هداية قومه فإن الله قد أكرمه بلقائه وهو يحب لقاء الله، وبشره بأنه مظهر دينه؛ لأن غاية هم الرسول هو الهدى، وإبلاغ الشريعة، فلذلك قال له: "وجاعل الذين اتبعوك فوق الذين كفروا"⁽⁸⁾.

- (1) طنطاوي. التفسير الوسيط. (371/5).
- (2) ينظر: ابن عادل، عمر بن علي. اللباب في علوم الكتاب 20 مج. تحقيق: عادل أحمد عبد الموجود. طبعة: 1، سنة: 1410 هـ. بيروت: دار الكتب العلمية. (305/9).
- (3) ينظر: طنطاوي. التفسير الوسيط. (101/4).
- (4) (البقرة، آل عمران، النساء، المائدة، الأنعام، التوبة، مريم، المؤمنون، الأحزاب، الشورى، الزخرف، الحديد، الصف).
- (5) سورة آل عمران: آية 54.
- (6) سورة آل عمران: آية 55.
- (7) ينظر: الشعراوي. تفسير الشعراوي. (ص 447).
- (8) ينظر: ابن عاشور. التحرير والتنوير. (186/3).

المبحث الثالث: نماذج من تسليّة الله تعالى لأوليائه الصالحين وإيمانه الصالحات

في هذه المبحث نعرض جملة من النماذج التي ذكرها القرآن الكريم من تسليّة الله تعالى لعباده الصالحين وإيمانه الصالحات، وهي على النحو الآتي:

أولاً: ذكر القرآن الكريم لتسليّة أم موسى عليهما السلام

جاء الحديث عن أم موسى عليهما السلام في سورتين من سور القرآن الكريم هي: سورة طه وسورة القصص. وكانت قصة أم موسى عليهما السلام مثالا ظاهرا يضرب للدلالة على عظم الثقة بوعده الله عز وجل، وبيانا يؤكد معية الله لأوليائه. رزقت أم موسى عليهما السلام ولدا في سنة القتل، فأوحى الله إليها أن تلقي هذا الغلام في اليم حين تخاف عليه من فرعون وملئه، قال الله تعالى: "وَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ أُمِّ مُوسَىٰ أَنْ أَرْضِعِيهِ ۖ فَإِذَا خَفَتْ عَلَيْهِ فَأَلَيْهِ فِي الْيَمِّ وَلَا تَخَافِي وَلَا تَحْزَنِي ۗ إِنَّا رَأَوُوهُ إِلَيْكَ وَجَاعِلُوهُ مِنَ الْمُرْسَلِينَ" (1). ثم وعد الله تعالى أم موسى عليه السلام بما يعينها على تنفيذ أمر ربها تسليّة لقلبها وتطمينا لها "وَلَا تَخَافِي وَلَا تَحْزَنِي إِنَّا رَأَوُوهُ إِلَيْكَ وَجَاعِلُوهُ مِنَ الْمُرْسَلِينَ" (2) يقول الزمخشري: "ووعدت ما يسليها ويطمئن قلبها ويملؤه غبطة وسرورا: وهو رده إليها وجعله من المرسلين" (3) ثم يصف لنا القرآن حال أم موسى عليه السلام بعد ذلك حيث قال الله تعالى: "وَأَصْبَحَ فُؤَادُ أُمِّ مُوسَىٰ فَارِعًا ۖ إِن كَادَتْ لَتُبْدِي بِهِ لَوْلَا أَن رَّبَطْنَا عَلَىٰ قَلْبِهَا لِتَكُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ" (4). وإن من جميل ما ورد في تفسير هذه الآية: "وأصبح فؤادها فارغا من الهم، حين سمعت أن فرعون عطف عليه وتبناه، إن كادت لتبدي بأنه ولدها، لأنها لم تملك نفسها فرحا وسرورا بما سمعت، لولا أنا طمنا قلبها وسكنا قلعه الذي حدث به من شدة الفرح والابتهاج، لتكون من المؤمنين الواقفين بوعده الله لا بتبني فرعون وتعطفه" (5). ثم يتحقق وعد الله الذي لا يتخلف فلا يقبل موسى عليه السلام مرضعة من المرضعات حتى جيء له بأمه، قال الله تعالى: "فَرَدَدْنَاهُ إِلَىٰ أُمِّهِ كَيْ تَقَرَّ عَيْنُهَا وَلَا تَحْزَنَ ۚ وَلَتَعْلَمَنَّ أَنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ" (6). "وها هو أوأى تحقيق الوعد الأول، وهو بشرى بتحقيق الوعد الثاني "وَجَاعِلُوهُ مِنَ الْمُرْسَلِينَ" لكن هذا في مستقبل الأيام، وسوف يتحقق أيضاً وقوله سبحانه: "فَرَدَدْنَاهُ إِلَىٰ أُمِّهِ" يدل على أن الأسباب في يد المسبب سبحانه، فنحن الذين رددناه، لا أخته ولا فرعون؛ لأننا نُسِير الأمور على وفق مرادنا، ونُمَهِّد لها الطريق حتى إننا نحول بين المرء وقلبه، ولينفذ قضاؤنا فيه (7).

ثانياً: ذكر القرآن لتسليّة مريم عليها السلام

- (1) سورة القصص: آية 7.
- (2) المصدر السابق.
- (3) الزمخشري، محمود بن عمرو. الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل 4 مج. طبعة: 3، سنة: 1407 هـ. بيروت: دار الكتاب العربي. (393/3).
- (4) سورة القصص: آية 10.
- (5) الزمخشري. الكشاف. (396/3).
- (6) سورة القصص: آية 13.
- (7) الشعراوي. محمد متولي. تفسير الشعراوي. (ص 3193).

هي مريم بنت عمران أم عيسى عليه السلام، وقد ذكر الله تعالى قصة ولادتها في سورة "آل عمران"، وأن أمها نذرتها محررة، لتخدم مسجد بيت المقدس، نشأت في بني إسرائيل نشأة عظيمة، فكانت إحدى العابدات الناسكات المشهورات بالعبادة العظيمة، وكانت في كفالة زكريا عليه السلام ورأى لها زكريا عليه السلام من الكرامات الهائلة ما بهره⁽¹⁾، وهذا ظاهر في قوله تعالى: "فَتَقَبَّلَهَا رَبُّهَا بِقَبُولٍ حَسَنٍ وَأَنْبَتَهَا نَبَاتًا حَسَنًا وَكَفَّلَهَا زَكَرِيَّا كُلَّمَا دَخَلَ عَلَيْهَا زَكَرِيَّا الْمِحْرَابَ وَجَدَ عِنْدَهَا رِزْقًا قَالَ يَا مَرْيَمُ أَنَّى لَكِ هَذَا قَالَتْ هُوَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَرْزُقُ مَنْ يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ" (2).. فلما أراد الله تعالى وله الحكمة والحجة البالغة أن يوجد منها عبده ورسوله عيسى عليه السلام، أحد الرسل أولي العزم الخمسة العظام، "وَأَذْكُرْ فِي الْكِتَابِ مَرْيَمَ إِذِ اتَّخَذَتْ مِنْ أَهْلِهَا مَكَانًا شَرْقِيًّا" (3). أي: اعتزلتهم وتنحت عنهم، وذهبت إلى شرق المسجد المقدس⁽⁴⁾. وذات مرة وهي في حال خلوتها أرسل الله إليها ملكا، قال الله في ذلك: "فَاتَّخَذَتْ مِنْ دُونِهِمْ حِجَابًا فَأَرْسَلْنَا إِلَيْهَا رُوحَنَا فَتَمَثَّلَ لَهَا بَشَرًا سَوِيًّا" (5). أي: فأرسلنا إليها روحنا.. فتشبه لها في صورة بشر سوي الهيئة، معتدل الخلق⁽⁶⁾، ويظهر أن في تمثّل الملك بصورة بشر فيه تسليية لمريم عليها السلام، لتستأنس بكلامه، وتتلقى منه ما يلقى إليها من كلماته، ولو بدا لها في صورته التي خلقه الله تعالى عليها لنفرت منه، وهابت، ولم تستطع مكالمته⁽⁷⁾. ثم تبرز لنا الآيات بعد ذلك ما دار من الحوار بين مريم عليها السلام وجبريل عليه السلام، قال الله تعالى: "قَالَ إِنَّمَا أَنَا رَسُولُ رَبِّكِ لِأَهَبَ لَكِ غُلَامًا زَكِيًّا * قَالَتْ أَنَّى يَكُونُ لِي غُلَامٌ وَلَمْ يَمْسَسْنِي بَشَرٌ وَلَمْ أَكُ بَغِيًّا * قَالَ كَذَلِكَ قَالَ رَبُّكِ هُوَ عَلَيَّ هَيِّنٌ وَلِنَجْعِلَهُ آيَةً لِلنَّاسِ وَرَحْمَةً مِنَّا وَكَانَ أَمْرًا مَقْضِيًّا * فَحَمَلَتْهُ فَانْتَبَذَتْ بِهِ مَكَانًا قَصِيًّا * فَأَجَاءَهَا الْمَخَاضُ إِلَى جِذْعِ النَّخْلَةِ قَالَتْ يَا لَيْتَنِي مِتُّ قَبْلَ هَذَا وَكُنْتُ نَسِيًّا مَنْسِيًّا" (8). وفي تلك اللحظة العصبية اعترأها ما اعترأها من هم وغم وحزن لا يعلم قدره إلا الله تعالى فقالت: "يا ليتني متُّ قبلَ هذا وَكُنْتُ نَسِيًّا مَنْسِيًّا" أي: وكنت شيئا منسياً متروكاً، لا يعرف ولا يذكر⁽⁹⁾ وها هي تظهر من جديد سنة تسليية الله تعالى لأوليائه في وقت الشدائد "فَنَادَاهَا مِنْ تَحْتِهَا أَلَا تَحْزَنِي قَدْ جَعَلَ رَبُّكِ تَحْتَكِ سَرِيًّا * وَهَازِي إِلَيْكَ بِجِذْعِ النَّخْلَةِ تُسَاقِطُ عَلَيْكَ رُطْبًا غَنِيًّا * فَكُلِي وَاشْرَبِي وَقَرِّي عَيْنًا فَمِمَّا تَرَيْنَ مِنَ الْبَشَرِ أَحَدًا فَقُولِي إِنِّي نَذَرْتُ لِلرَّحْمَنِ صَوْمًا فَلَنْ أَكَلِمَ الْيَوْمَ أَنْسِيًّا" (10). "وهكذا أصبحَ لَدَيْكَ مَاءٌ تَشْرَبِينَ مِنْهُ وَطَعَامٌ، فَكُلِي وَاشْرَبِي وَطَبِّبِي نَفْسًا، وَأَبْعِدِي عَنْكَ الْهُمُومَ وَالْأَحْزَانَ..." (11) ويظهر لنا الزمخشري جانباً من

- (1) ينظر: ابن كثير، تفسير القرآن العظيم. (219/5).
- (2) سورة آل عمران: آية 37.
- (3) سورة مريم: آية 16.
- (4) ينظر: ابن كثير. تفسير القرآن العظيم. (219/5).
- (5) سورة مريم: آية 17.
- (6) ينظر: الطبري، جامع البيان. (163/18).
- (7) ينظر: طنطاوي، محمد سيد. التفسير الوسيط. طبعة 1. القاهرة دار نهضة مصر. (24/9).
- (8) سورة مريم: آيات 19-23.
- (9) ينظر: البغوي، الحسين بن مسعود. معالم التنزيل. تحقيق: محمد عبد الله النمر وآخرون. طبعة: 4، سنة: 1417 هـ. (225/5).
- (10) سورة مريم: آيات 24-26.
- (11) حومد. تفسير حومد. (2276/1).

جوانب التسلية فلما ينتبه إليه، فقال: "لم تقع التسلية بهما من حيث أنهما طعام وشراب، ولكن من حيث أنهما معجزتان تريان الناس أنها من أهل العصمة والبعد من الريبة، وأن مثلها مما قرفوها به بمعزل، وأن لها أموراً إلهية خارجة عن العادات خارقة لما ألفوا واعتادوا، حتى يتبين لهم أن ولادها من غير فعل ليس ببدع من شأنها"⁽¹⁾. ثم تلقتي مريم عليها السلام بقومها وهي تحمل وليدها عليه السلام بين يديها فتكتمل المواساة والتسلية بأن ينطقه الله تعالى في مهده ليظهر طهارتها كرامتها ومكانتها، ويعلن أنه رسول الله جل وعلا، قال الله تعالى عن ذلك: "فَأَنبَأَتْ بِهِ قَوْمَهَا تَحْمِلُهَا قَالُوا يَا مَرْيَمُ لَقَدْ جِئْتِ شَيْئاً فَرِيئاً * يَا أُخْتَ هَارُونَ مَا كَانَ أَبُوكَ امْرَأَ سَوْءٍ وَمَا كَانَتْ أُمُّكَ بَعِثًا * فَأَسَارَتْ إِلَيْهِ قَالُوا كَيْفَ نُكَلِّمُ مَنْ كَانَ فِي الْمَهْدِ صَبِيًّا * قَالَ إِنِّي عَبْدُ اللَّهِ آتَانِيَ الْكِتَابَ وَجَعَلَنِي نَبِيًّا * وَجَعَلَنِي مُبَارَكًا أَيْنَ مَا كُنْتُ وَأَوْصَانِي بِالصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ مَا دُمْتُ حَيًّا * وَبَرًّا بِوَالِدَتِي وَلَمْ يَجْعَلْ لِي جَبَّارًا شَقِيًّا * وَالسَّلَامُ عَلَيَّ يَوْمَ وُلِدْتُ وَيَوْمَ أَمُوتُ وَيَوْمَ أُبْعَثُ حَيًّا"⁽²⁾.

ثالثاً: ذكر القرآن الكريم لتسلية أبي بكر رضي الله عنه

من المواقف العظيمة التي شهدها الصديق مع النبي صلى الله عليه وسلم والتي سطرها التاريخ وأشار إليها القرآن الكريم هجرته مع رسول الله عليه الصلاة والسلام إلى المدينة. فبعد إيداء قريش للأصحاب أراد أبو بكر رضي الله عنه أن يخرج مهاجراً فاستأذن النبي عليه الصلاة والسلام في ذلك فقال له صلى الله عليه وسلم: "أقم، فقال يا رسول الله: أتطمع أن يؤذن لك، فكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: إني لأرجو ذلك، فانتظره أبو بكر فاتاه رسول الله صلى الله عليه وسلم ذات يوم ظهراً فناداه فقال: أخرج من عندك، فقال أبو بكر: إنما هما ابنتاي، فقال: أشعرت أنه قد أذن لي في الخروج. فقال: يا رسول الله الصعبة، فقال النبي صلى الله عليه وسلم: الصعبة"⁽³⁾ ثم انطلقا في رحلة كبيرة تحفها الصعاب، فقريش تطارد النبي عليه الصلاة والسلام بمسليحيها وتجعل مكافأة كبيرة قدرها مائة ناقة لمن يأتيها به، وقصاص الأثر يبحثون حتى وصل النبي عليه الصلاة والسلام وصاحبه رضي الله عنه بمعية الله تعالى إلى الغار⁽⁴⁾. وتزداد هيبة الموقف يقول الصديق: "فرأيت آثار المشركين: لما طلوعوا فوق الغار"⁽⁵⁾ فلما طلوعوا فوقه وسمع أبو بكر أصواتهم أقبل عليه الهم والخوف⁽⁶⁾. ثم تزداد الهيبة ويعظم الموقف "فيأتون إلى فم الغار، وهم يريدونه- عليه الصلاة والسلام- حياً أو ميتاً، وجعلوا فيه مائة ناقة لمن يرده عليهم، فيقفون على فم الغار"⁽⁷⁾ أي كرب هذا! وكان سر خوفه رضي الله عنه وجزعه: "أن يطلع عليهم أحد فيخلص إلى رسول الله صلى

(1) الزمخشري. الكشاف. (15/3).

(2) سورة مريم: آيات 27-33.

(3) البخاري، صحيح البخاري. (ح: 3866). (كتاب المغازي). (باب غزوة الرجع ورغل وذكوان). (1502/4).

(4) ينظر: المباركفوري. صفي الرحمن. الرحيق المختوم. (131/1).

(5) الزرهوني، محمد الفضيل. الفجر الساطع على الصحيح الجامع. تحقيق: فؤاد ريشة. (101/6).

(6) انظر: المباركفوري، محمد بن عبد الرحمن. تحفة الأحوذى بشرح جامع الترمذي. بيروت: دار الكتب العلمية. (392/8).

(7) ينظر: ابن عبد البر، يوسف بن عبد الله النمري. الدرر في اختصار المغازي والسير. تحقيق: شوقي ضيف.

طبعة: 2، سنة: 1403 هـ. القاهرة: دار المعارف. (81/1).

الله عليه وسلم منهم أذى⁽¹⁾ وهذا هو حال المخلصين على مر السنين همهم أن لا يخلص إلى دعوتهم مكروه. وما هو القرآن الكريم ينقل لنا في آياته تسليية النبي عليه الصلاة والسلام لصاحبه في هذا الموقف العصيب قال الله تعالى: "إِلَّا تَنْصُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ اللَّهُ إِذْ أَخْرَجَهُ الَّذِينَ كَفَرُوا ثَانِيًا اثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِي الْغَارِ إِذْ يَقُولُ لِصَاحِبِهِ لَا تَحْزَنْ إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا فَأَنْزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَيْهِ وَأَيَّدَهُ بِجُنُودٍ لَمْ تَرَوْهَا وَجَعَلَ كَلِمَةَ الَّذِينَ كَفَرُوا السُّفْلَى وَكَلِمَةُ اللَّهِ هِيَ الْعُلْيَا وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ"⁽²⁾. "وذلك أن أبا بكر وهو مع النبي صلى الله عليه وسلم في الغار، أحس بحركة المشركين من فوق الغار، فخاف خوفا شديداً لا على حياته هو، وإنما على حياة النبي صلى الله عليه وسلم فلما رأى النبي صلى الله عليه وسلم منه ذلك، أخذ في تسكين روعه وجزعه وجعل يقول له: لا تحزن إن الله معنا"⁽³⁾. فالنبي عليه الصلاة والسلام بهذه الكلمات "نفى حزنه وسأله"⁽⁴⁾. وهذا الرد ينسجم مع سؤال أبي بكر؛ لأنه ما دام رسول الله صلى الله عليه وسلم وأبو بكر في معية الله، والله لا تتركه الأبصار؛ فمن في معيته لا تتركه الأبصار "لَا تَحْزَنْ إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا" فلا بد أن يذهب الحزن عن أبي بكر⁽⁵⁾.

المبحث الرابع: الآثار التربوية والنفسية لآيات التسليية

إن الناظر المتأمل في النماذج السابقة يجد أنها تحوي في طياتها جملة من الآثار التربوية والنفسية التي يحتاج إليها السالك لطريق الحق، وترداد الحاجة إليها في زمن الفتن ونزول البلاء، وهذه جملة من هذه الآثار المستفادة:

أولاً: ابتلاء الصالحين سنة ربانية

إن من سنن الله عز وجل في خلقه التي لا تتبدل ولا تتغير ولا تحابي أحداً ولا تجامل، سنة البلاء قال الله تعالى: "أَحْسِبِ النَّاسَ أَنْ يَبْرُكُوا أَنْ يَقُولُوا آمَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ * وَلَقَدْ فَتَنَّا الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَلَيَعْلَمَنَّ اللَّهُ الَّذِينَ صَدَقُوا وَلَيَعْلَمَنَّ الْكَاذِبِينَ"⁽⁶⁾. وإن البلاء عندما ينتزل على قدر الإيمان فإن كان في إيمان العبد صلابة زيد له في البلاء، وإن كان في إيمانه رقة خفف عنه في البلاء، وبعد البلاء يأتي الاضطفاء. وهذا ظاهر في كل النماذج السابقة. فإذا نظرت في حال مريم عليها السلام فقد أصبحت أمام أمر واقع وحمل ظاهر لا تستطيع إخفاءه، ولا تقدر على ستره، فقد قبلت قبل ذلك أن يُبَيِّتَها الملك بـغلام زكيٍّ، وقبلت أن تحمل به، فكيف بها الآن وقد تحوّل الأمر من الكلام إلى الواقع الفعلي، وما هو الوليد في أحشائها، وقد حان موعد ولادته؟ لا بُدَّ أن ينتابها نزوع انفعالي فالأمر قد خرج عن نطاق السُّرِّ والتكتم، فإذا بها تقول: "يَا لَيْتَنِي مِتُّ قَبْلَ هَٰذَا وَكُنْتُ نَسِيًّا مَنْسِيًّا" أي: تمنيت لو ماتت قبل أن تقف هذا الموقف العصيب، مع أن الملك حين أخبرها من قبل بأن الله

- (1) ابن كثير. تفسير القرآن العظيم. (437/2).
- (2) سورة التوبة: آية 40.
- (3) طنطاوي. التفسير الوسيط. (99/3).
- (4) القشيري. عبد الكريم بن هوازن. لطائف الاشارات تفسير القشيري. تحقيق ابراهيم البسيوني. طبعة 3. مصر
- (5) الهيئة المصرية العامة. (99/3).
- (6) ينظر: الشعراوي. تفسير الشعراوي. (ص 1262).
- (7) سورة العنكبوت: آيات 2-3.

تعالى سيهب لها غلاماً زكياً تعجبت قائلة: "أنى يكون لي غلام ولم يمسسني بشر ولم أك بغياً" مجرد تعجب وانفعال هادئ، أما وقد أصبح الأمر ولادة حقيقية فلا بد من فعل نزوعي شديد يُعبر عما هي فيه من حيرة، لذلك تمتث الموت⁽¹⁾. ثم بعد هذا يجيء التخفيف عن مريم قال الله تعالى: "فناداها من تحتها ألا تحزني" يقول ابن عاشور: "أي أن حالتك حالة جديرة بالمسرة دون الحزن لما فيها من الكرامة الإلهية.." ⁽²⁾. ثم الاصطفاء الذي يعقب البلاء قال الله تعالى: "وإذ قالت الملائكة يا مريم إن الله اصطفاك وطهرك واصطفاك على نساء العالمين" ⁽³⁾.

ثانياً: تربية الأتباع على الثبات على المبدأ

يقول المناوي: "الثبات هو التمكن في الموضع" ⁽⁴⁾. إن مما يظهر من خلال التأمل لنماذج تسليية الله لأوليائه التي أوردها القرآن الكريم، يجد أن الطريق إلى الله تعالى شاق ومحفوف بالمكاره، ولا بد للساكنين على الطريق من الثبات. ولقد حرص الإسلام على تربية الأتباع عليه، جاء في الأنوار الساطعات: "من هدي القرآن للتي هي أقوم: حث المؤمنين على الثبات والمصابرة في تحمل المشاق والشدائد التي تصيبهم، فإن الله جل وعلا لا بد أن يمتحن عباده بالسراء والضراء والمشقة، كما فعل بمن قبلهم، فهي سنة الله الجارية أن من قام بدينه وشرعه لا بد أن يبتلى" ⁽⁵⁾. فقضية الثبات قضية كبيرة حرص القرآن الكريم على تربية قلوب الأتباع عليها، وحرص النبي عليه الصلاة والسلام على زراعتها في قلوب أصحابه، فقد جاء عن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما أنه سمع النبي عليه الصلاة والسلام يقول: "إن قلوب بني آدم كلها بين إصبعين من أصابع الرحمن كقلب واحد يصرفه حيث يشاء ثم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: اللهم مصرف القلوب صرف قلوبنا على طاعتك" ⁽⁶⁾. ولذلك سلك القرآن الكريم طرائق عدة لتربية الأتباع على الثبات كانت التسليية إحداها، ذكر ابن عاشور في تفسيره لقوله تعالى: "كذ كذ كل كذ كذ له جرح خلد له جرح مفرج" ⁽⁷⁾. "وهذا محل التسليية والخطاب للنبي صلى الله عليه وسلم.. لأن تأخير ما وعد الله رسوله صلى الله عليه وسلم من إنزال العقاب بأعدائه يشبه حال المخلف وعده، فلذلك نهى عن حسبانته.. وهذا تنبئ للنبي صلى الله عليه وسلم بأن الله تعالى منجز له ما وعده من نصره على الكافرين.

- (1) الشعراوي، محمد متولي. تفسير الشعراوي. ص2257.
- (2) ابن عاشور. محمد الطاهر بن محمد. التحرير والتنوير. بيروت مؤسسة التاريخ العربي. (38/9).
- (3) سورة ال عمران: آية 42.
- (4) المناوي، محمد عبد الرؤوف. التوقيف على مهمات التعاريف. تحقيق: محمد رضوان الداية. طبعة: 1، سنة: 1410هـ. بيروت: دار الفكر (159/1).
- (5) السلطان، عبد العزيز بن محمد. الأنوار الساطعات لآيات جامعات. (63/3).
- (6) البخاري، صحيح البخاري. (ح: 2654). (كتاب القدر). (باب تصريف الله تعالى القلوب كيف يشاء). (2045/4).
- (7) سورة ابراهيم: آية 42.

ثالثاً: عدم الخوف

ذكر الجرجاني: "توقع حلول مكروه أو فوات محبوب"⁽¹⁾. وقد دار معنى الخوف في القرآن الكريم حول ذات المعنى المذكور وفي الاصطلاح، قال الزمخشري في تفسيره لقوله تعالى: "فَأَلْقِيهِ فِي الْيَمِّ وَلَا تَخَافِي وَلَا تَحْزَنِي"⁽²⁾. "الخوف: غم يلحق الإنسان لمتوقع"⁽³⁾. وقال ابن عاشور: "والخوف: توقع أمر مكروه"⁽⁴⁾. وإن الناظر المتأمل لآيات القرآن الكريم يجد أن لفظ الخوف لم يأت في مواضع الذم على إطلاقه بل جاء في جملة من المواضع محموداً كالخوف من الله تعالى، "ذَلِكَ يُخَوِّفُ اللَّهَ بِهِ عِبَادَهُ يَاعِبَادُ فَاتَّقُونُ"⁽⁵⁾. وأما الخوف المذموم هو الخوف من الشيطان وأوليائه وهذا ظاهر في قوله تعالى: "إِنَّمَا ذَلِكَ الشَّيْطَانُ يُخَوِّفُ أَوْلِيَاءَهُ فَلَا تَخَافُوهُمْ وَخَافُوا اللَّهَ إِن كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ"⁽⁶⁾. ويظهر لنا عند التأمل في تسليّة القرآن الكريم لأم موسى عليه السلام كيف أثبت الله خوفها على وليدها من بطش فرعون وجنوده، ثم بعد ذلك نهاها عن الخوف وما ذاك النهي إلا لأن وليدها أصبح في رعاية الله تعالى وحفظه يقول الله تعالى: "وَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ أُمِّ مُوسَىٰ أَنْ أَرْضِعِيهِ فَإِذَا خَفَتْ عَلَيْهِ فَأَلْقِيهِ فِي الْيَمِّ وَلَا تَخَافِي وَلَا تَحْزَنِي" أي: "لا تخافي عليه من الغرق"⁽⁷⁾ وطمأن الله تعالى قلبها وانسها بوعده لها برده وبشرى لقلبها أنه سيكون من المرسلين "إِنَّا رَأَوُوهُ إِلَيْكَ وَجَاعَلُوهُ مِنَ الْمُرْسَلِينَ"⁽⁸⁾.

رابعاً: عدم الحزن

كان للتسليّة دور فاعل في دفع الحزن عن القلوب، بل ذكرت بعض آيات التسليّة ذلك صراحة، كما في قوله تعالى: "وَلَا يَحْزَنكَ قَوْلُهُمْ إِنَّ الْعِزَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ"⁽⁹⁾. ولكن قد لا يستطيع السالك للطريق أن يتخلص من هذا الانفعال النفسي خلاصاً مطلقاً وذلك لأمرين:

أولاً: طبيعة الإنسان، فالإنسان مجبول على الفرح عند وقوع المرغوب، والحزن عند فواته أو وقوع المكروه.

ثانياً: أن هناك جزء من الحزن مباح، فليس الحزن مذموم على إطلاقه، فهذا هو يعقوب عليه السلام يحزن ويشكو همه وحزنه إلى الله، قال الله تعالى: "قَالَ إِنَّمَا أَشْكُو بَثِّي وَحُزْنِي إِلَى اللَّهِ وَأَعْلَمُ مِنَ اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ"⁽¹⁰⁾. ونقل عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال عند وفاة ولده إبراهيم: "من الله ما لا تعلمون"

(1) الجرجاني، التعريفات. (ص 137).

(2) سورة القصص: آية 7.

(3) الزمخشري، الكشاف. (398/3).

(4) ابن عاشور. التحرير والتنوير. (430/10).

(5) سورة الزمر: آية 16.

(6) سورة آل عمران: آية 175.

(7) البيهقي، الحسين بن مسعود. معالم التنزيل. طبعة: 4، سنة: 1417هـ. دار طبعة. (190/6).

(8) ينظر: السعدي، تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان. (ص 612).

(9) سورة يونس: آية 65.

(10) سورة يوسف: آية 86.

إن العين تدمع والقلب يحزن ولا نقول إلا ما يرضي ربنا وإنا بفراقك يا إبراهيم لمحزونون⁽¹⁾. فالحزن الذي منع منه الإسلام وحذر منه هو الحزن المذموم والذي هو: "الذي لا صبر لدى صاحبه، ولا رضى بقضاء الله وقدره، ويخالطه في الغالب أو ينتج عنه ما حذر منه الشارع الحكيم.."⁽²⁾. ذكر الجرجاني أنه: "عبارة عما يحصل لوقوع مكروه أو فوات محبوب في الماضي"⁽³⁾. ولقد ورد لفظ الحزن في القرآن الكريم بمشتقاته في اثنين وأربعين موضعاً⁽⁴⁾، ولقد نقل عن أهل التفسير جملة من التعريفات للحزن دارت حول ذات المعنى المذكور في اللغة وفي الاصطلاح، فقد عرفه طنطاوي بقوله: "هو ألم نفسي يصيب الإنسان عند فقد ما يحب أو عدم إدراكه، أو عند نزول أمر يجعل النفس في هم وقلق"⁽⁵⁾، وإن السائرين على الطريق من الأنبياء والمرسلين والدعاة المخلصين بشر، يأكلون ويشربون، يصحون ويمرضون، وأيضاً يفرحون ويحزنون، فالحزن والأسى أمر لا بد منه، فكان لا بد من التحذير منه حتى لا يسيطر على النفس لأنه يعطل المسير وقد يذهب بالنفس كمداً. يقول طنطاوي: "والنهي عن الحزن الذي -هو أمر نفسي لا اختيار للإنسان فيه- المراد من النهي عن لوازمه، كالإكثار من محاولة تجديد شأن المصائب وتعظيم أمرها، وبذلك تتجدد الآلام، وتعز السلوى"⁽⁶⁾. وإذا نظرت في نماذج تسليية الله تعالى لأتباعه وأوليائه تجد أن النهي عن الحزن فيها صريح وظاهر. والآيات التي تشهد لذلك على النحو الآتي:

- نهى الله تعالى لنوح عليه السلام أن يحزن من قومه وهذا ظاهر في قوله تعالى " فلا تبتئس " أي "فلا تستكن ولا تحزن"⁽⁷⁾.
- نهى أم موسى عليه السلام عن الحزن عندما أمرت بالبقاء رضيعها فقد قال الله تعالى لها "وَلَا تَخَافِي وَلَا تَحْزَنِي إِنَّا رَادُّوهُ إِلَيْكِ وَجَاعِلُوهُ مِنَ الْمُرْسَلِينَ"⁽⁸⁾.

- (1) البخاري، صحيح البخاري. (ح: 1241). (كتاب الجنائز). (باب قول النبي عليه الصلاة والسلام: إنا بك لمحزونون). (439/1).
- (2) مصطفى. الانفعالات النفسية للأنبياء في القرآن الكريم -رسالة ماجستير: جامعة النجاح الوطنية- (ص169).
- (3) الجرجاني، التعريفات. (117/1).
- (4) (تحزن): التوبة: آية 40/ الحجر: آية 88/ النحل: آية 127/ طه: آية 40/ النمل: آية 70). القصص: آية 13/ العنكبوت: آية 33). (تحزنوا): آل عمران: آية 139، 153/ فصلت: آية 30). (تحزنون): الأعراف: آية 49/ الزخرف: آية 68). (تحزني): مريم: آية 24/ القصص: آية 7). (ليحزن): المجادلة: آية 10). (يحزنك): آل عمران: آية 176/ المائدة: آية 41/ الأنعام: آية 33/ يونس: آية 65/ لقمان: آية 23). يس: آية 76). (يحزن): الأحزاب: آية 51). (ليحزنني): يوسف: آية 13). (يحزنهم): الأنبياء: آية 103). (يحزنون): البقرة: آيات 38، 62، 112، 262، 274، 277/ آل عمران: آية 170). المائدة: آية 69/ الأنعام: آية 48). الأعراف: آية 35). الحزن: يوسف: آية 84). (حزني): يوسف: آية 86). (الحزن): فاطر: آية 34). (حزنا): التوبة: آية 92/ القصص: آية 8).
- (5) طنطاوي. الوسيط. (ص 748).
- (6) ينظر: طنطاوي. التفسير الوسيط. (1265/1).
- (7) الطبري. جامع البيان. (306/15).
- (8) سورة القصص: آية 7.

- نهى مريم عليها السلام عن الحزن حين وضعت عيسى عليه السلام "فَكَلِّى وَأَشْرَبِي وَفَرِّى عَيْنًا"⁽¹⁾. "وَهَكَذَا أَصْبَحَ لَدَيْكَ مَاءٌ تَشْرَبِينَ مِنْهُ وَطَعَامٌ، فَكَلِّى وَأَشْرَبِي وَطَبِّبِي نَفْسًا، وَأَبْعِدِي عَنْكَ الْهُمُومَ وَالْأَحْزَانَ..."⁽²⁾.

- نهى النبي عليه السلام لأبي بكر رضي الله عنه عن الحزن قال الله تعالى مبينا ذلك " لا تحزن ان الله معنا"⁽³⁾. فالنبي عليه السلام بهذه الكلمات "نفى حزنه وسأله"⁽⁴⁾.

يظهر مما سبق النهي الصريح للأنبياء والأولياء عن الحزن الذي قد يعطل مسيرهم ويثقل همهم، فلا بد للمرء حين ينظر الى الواقع ويتأمل في الحال أن ينظر إليه بمنظور الله تعالى، وأن يعلم أن الله قادر على أن يحدث بعد العسر يسرا، وبعد الكرب فرجا.

خامسا: اليقين بوعد الله تعالى

إن أمة الإسلام في هذا الزمان تحتاج إلى هذا الأصل الكبير فهي تمر بشدة لا يعلم قدرها إلا الله تعالى، قتل وتشريد و هتك محارم ودمار في كل مكان، وإذا تحاكمنا إلى مقاييس البشر أمام هذا الواقع المرير، فإننا سنخلص إلى أن حالة الاستضعاف التي تمر بها لن تستطيع الخلاص منها، غير أن الناظر للواقع بمنظور الثقة بالله تعالى يعلم يقينا أن الله جل وعلا قادر على أن يحدث بعد ذلك أمرا.

ورد لفظ اليقين بمشتقاته في القرآن الكريم ثمان وعشرين مرة، ودار معنى اليقين في الآيات القرآنية حول ذات المعنى المذكور في اللغة وفي الاصطلاح، منها ما نقل عن ابن كثير في تفسيره لقوله تعالى: "إِنَّ هَذَا لَهُوَ حَقُّ الْيَقِينِ"⁽⁵⁾. "اليقين الذي لا مربة فيه"⁽⁶⁾. وإن الثقة واليقين بالله تعالى، وبوعده صفة من صفات الأنبياء والأولياء وأما الشك والاضطراب فصفة تورث صاحبها اليأس، وقد تصل به في بعض الأحيان الى الكفر. والظاهر أنه كلما ارتقى الإيمان في القلب زاد يقينه بالله تعالى يقول الألوسي في التعليق على قوله تعالى: "وَلَا تَهِنُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَنْتُمْ الْأَعْلَوْنَ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ"⁽⁷⁾. قال: "إن كنتم مؤمنين" متعلق به معنى وإن كان الجواب محذوفا أي: إن كنتم مؤمنين فلا تهنوا ولا تحزنوا، فإن الإيمان يوجب قوة القلب ومزيد الثقة بالله تعالى وعدم المبالاة بأعدائه"⁽⁸⁾. وها هي الآيات التي نقلت لنا تسليية القرآن الكريم للأولياء تأتي لتربية الأمة على هذا الأصل الكبير، فها هي أم موسى عليهما السلام تؤمر بإلقاء رضيعها وفلذة كبدها عليه السلام وهو

- (1) سورة مريم: آية 26.
- (2) حومد. أسعد. تفسير حومد. (2276/1).
- (3) سورة التوبة: آية 40.
- (4) القشيري، تفسير القشيري. (99/3).
- (5) سورة الواقعة: آية 95.
- (6) ابن كثير. تفسير القرآن العظيم. (551/7).
- (7) سورة آل عمران: آية 139.
- (8) الألوسي. روح المعاني. (67/4).

طفل صغير محتاج إلى رعايتها وحنانها موقنة بوعدها: "أُرْسِلْ" (1). ثم يتحقق وعد الله تعالى لها: "إِنَّا رَأَوُوكَ إِلَيْنَا وَجَاءَ لَوْ أَنَّ الْمُرْسَلِينَ" (2). "وها هو أوانٌ تحقيق الوعد الأول، وهو يُشْرِى بِتَحَقُّقِ الوعد الثاني "وَجَاءَ لَوْ أَنَّ الْمُرْسَلِينَ" لكن هذا في مستقبل الأيام، وسوف يتحقق أيضاً وقوله سبحانه: "فَرَدَدْنَاهُ إِلَىٰ أُمِّهِ" يدل على أن الأسباب في يد المسبب سبحانه، فنحن الذين رددناه، لا أخته ولا فرعون؛ لأننا نُسَيِّرُ الأمور على وَفْقِ مرادنا، ونُمهِّدُ لها الطريق حتى إننا نحول بين المرء وقلبه، ولينفذ قضاؤنا فيه (3). وهذا الأصل الكبير يحتاج إليه أهل الإيمان في هذا الزمان الذي أطلق عليه زمان الفتن.

الخاتمة

بعد هذا الاستعراض لتسليية الله تعالى للأنبياء والأولياء الصالحين والإمام الصالحات، تم التوصل إلى مجموعة من النتائج، فيما يلي أهمها:

1. التسليية: هي التخفيف عما في النفس من الهم والحزن وهي بمعنى "المواساة"، والعلاقة بين هذا المفهوم ومفهوم التسليية المشهور الذي هو اللعب هو أن كليهما يخفف عن النفس، وينشر الفرح والسرور.
2. إن الانتشار الكبير لآيات التسليية في القرآن الكريم فيه تسليية لأهل الإيمان، فهو يدل دلالة قطعية على الصلة الوثيقة بين الخالق والمخلوق، وبين المنهج والواقع.
3. التسليية ليست حدثاً جديداً، وإنما هي سنة الله تعالى في خلقه، وهذا ظاهر من الآيات التي ذكرت تسليية الله تعالى للسابقين من الأنبياء والمرسلين والأولياء الصالحين.
4. يستفاد من آيات التسليية جملة من الآثار والقيم، وهي:
 - أ. أن الابتلاء سنة ربانية قائمة في خلقه.
 - ب. تربية الاتباع على الثبات.
 - ت. عدم الخوف.
 - ث. عدم الحزن.
 - ج. اليقين بوعده الله تعالى.

(1) سورة القصص: آية 7.

(2) سورة القصص: آية 13.

(3) الشعراوي. تفسير الشعراوي. (ص 3193).

References and Books

- Abbas. Fadel Hussin. *Lta'ef Al-Manan wa Rawa'3 Al-Bayan Fe Nafy Al-Zeyada Wa Al-Hathef Fe Al-Qura'an*. Edition:1430. Jordan: Dar Al-Nafa'es.
- Abu Al-Soud, Mohammad Ibn Mostafa. *Ershad Al-Akel Al-Saleem Ela Mazaya Al-Ketab Al-Kareem "Tafsir Abu Al-Soud"*. Beirut: Dar Ehya Al-Turath Al-Arabi.
- Abu Hayan, Mohammad Ibn Yousef Ibn ali. *Al-Bahar Al-Moheet Fe Al-tafsir*. Ahieve: sudqe Mohammad Jameel. Beirut: Dar Al-Fekr.
- Abu Zuhra, Mohammad. *Zahrat Al-Tafasir*. Dar Al-Fehkr Al-Al-Arabi.
- Al-Adawi, Abu Abdallah Mostafa. *Al-Tafsir Chain*.
- Al-Baghawi, Al-Husain bin masuod, *Ma3alem Altanzil*, achieve: Mohammad bin Abd Allah Alnemer and others, Edition: 4, 1417, Al-reyad: alrushd laibrary.
- Al-bukhari, Muhammad bin ismail. *Sahih bukhari*, tahqeeq Mustafa adeeb, Edition: 3, 1407 H.
- Al-Edrisy, Ahnad bin Mohammad Al-Mahdi, *Albahr Almadeed*, Edition: second 1423 H, Beirut Dar al-Kutb Al-Elmayeh.
- Al-Eiji, Mohammad bin Abd Al-Rahman, *Collector statement in explain the qura'an*, tafsir al-eiji.
- Al gergani, ali bin mohammad. *Atarefat*. Beirut, dar alkitab Al-Arabi, year: 1405.
- Al-gyani, Ahmad Ibn mohammad al-ha'am. *Al-tebyan fe tafsir gareeb al-qura'an*. achieve: Fathi Anwar. Edition: 1, 1992, Al-kahera: Dar Al-shaba.
- Al-Jazaeri, Jaber bin Musa, *Aysar Altafsir le kalam Al-Ali Alkabeer*, Edition: 5, 1424, Al-Madinah Al- Monawarah, Al3oloom wal hekam laibrary.

- Al-laham, Mohammad saeed, *Almo3jam Almofarhas le alfath alqura'an alkareem*, Edition: 2, 1424 H, Beirut, dar alma3refah.
- Almanawi, Mohammad abd Alrauof, *Altawqeef 3la muhemmat alt3areef*, achieve: Muhammad radwan Aldayeh, Edition: 1, 1410 H, Beirut, dar alfekeer.
- Almanawi, Mohammad abd Alrauof, *fayd alqadeer*, Edition: 1, 1356 H, Egypt, Al-Maktabah Altejareyah.
- Al-Mubarakfori, Mohammad bin abd Al-rahman, *tohfah alahwathi be sharh jame3 altermethi*, Beirut, dar alkutob alelmeyah.
- Al-Mubarakfori, *Safey alrahman*, alraheeq almakhtoom.
- Al-qura'an Al-kareem.
- Al-Rageb, Hussin Ibn Mohammad. *Tafsir Al-Rageb*. achieve: Mohammad Abd Al-Aziz. Edition: 1,1420, Tanta: Al-Adab College.
- Al-Razi, Mohammad Ibn Oby Baker. *Moktar Al-Sehah*. Achieve Mahmoud Khater. Bierut: Maktabat Lobnan.
- Al razi, *fakhr al din Muhammad ibn omar*, Al- tafsir al- kabir.
- Al-Salman, Abd Al-Aziz Ibn Mohammad. *Al-Anwar Al-sateat Le Ayat Jameat*.
- Al-Somayen Al-Halabi, Ahmad Ibn Yousef. *Omdat Al-Hfath Fe Tafsir Ashraf Al-Alfath*. Ahieve: Mohammad Basil Oyoun. Edition: 1,1417.
- Al shahhod, ali bin nayef: *conclusion in the lives of the profets*, without publication of information.
- Al-qurtobi, Mohammad bin Ahmad bin abi baker, *Al-Jame3 Le Ahkam Al-qura'an*, achieve: Ahmad Albardoni and others, Edition: 2, 1384, Cairo, dar alkutob Almasreyah.
- Al-qushayri, Abd Alkareem bin hozan, *Lataef Alesharat – tafsir Alqushayri*, achieve Ibrahim Albesyoni, Edition: 3.

- Al-Talkani, Esmail Ibn Abad. *Al-Moheet Fe Al-Lokah. Ahieve: Mohammad Hussin Al-Yasin*. Edition: 1,1414. Bierut: Alam Al-Kotb.
- Al-Zahrawi, Mohammad al-Fodayl. *Al-Fajer Al-Satea Ala Al-Sahih Al-Jama*. achieve: Fuad Reshi.
- Al-Zamakshari, Mahmoud Ibn Amro. *Al-Kashaf An Haka'aq Kawamed Al-Tanzeel*. Edition: 3,1407. Beirut: Dar Al-ketab Al-Arabi.
- Collector statement in the interpretation of the Koran, written by Muhammad ibn Jarir al-Tabari Abu Jaafar (d. 310 AH) *achieve Ahmed Mohammed Shaker*, Mission Foundation, Edition: First, 1420 - 2,000 m.
- Furuq al-lughawiyah by Abū Hilāl al-‘Askarī, al-Ḥasan ibn ‘Abd Allah Issue, achieve: baet Allah bayat, Edition: 1, 1412 H.
- Hamadani, hamed ashraf, *qessat nooh 3alaih alsalam fe Al-qura'an alkareem duroos wa 3ebar*.
- Hawmad, Asa'ad. *Aysar Al-Tafasir "Tafsir Hawmad"*.
- Qutob, Sayed Ibrahim Husain Al-sharebi, *Fe Thelal Al-Qura'an*, Edition: 17, Beirut dar Alshorooq.
- Reda, Mohammad. *Abu Baker Al-sedeeq*.
- Ibn Abd Al-Bar, Yousef Ibn Abdallah Al-Nimri. *Al-Durar Fe Al-Magazi Wa Al-Seyar*. Achieve: Shawqi Dayef. Edition: 2.1403. Al-Kahera: Dar Al-Maref.
- Ibn Adel, Omar Ibn Ali. *Al-Labab Fe Uloom Al-Ketab*. achieve: Adel Ahmad Abd Al-Mawjood Edition: 1, 1410. Beirut: Dar Al-Kotab Al-Elmya.
- Ibn Aljazari, Ahmad bin Mohammad, *sharh tibat Alnashr fe Alqera'at al-ashr*, achieve: jamal aldin mohammad sharaf, tanta 0: dar al-sahabah, Beirut, Almaktabah al-elmeyah.

- Ibin Alqayem, Mohammad bin abi baker, *Zad Alma3ad fe hadey Al3bad*, Edition: 27, Beirut, Al-resalah.
- Ibn Manzur, M. (1414H), *Lisān al-‘Arab*, 3ed edition, Beirut, Dar Sader.
- Ibn Ateyah, Abd Al-haq Ibn Galeb. *Al-Muharar Al-Wajeez Fe Tafsir Al-Katb Al-Aziz*. achieve: Abd Al-Salam Abd Al-Shafi. Edition: 1422. Bierut: Dar Al-Koteb Al-Elmya.
- Ibn hajar, Ahmad Ibn Ali. *Tahtheb Al-Tahtheb*. Edition: 1,1326, Al-hand: Dae'rat Al-maref.
- Ibn Hanbal, Ahmad Al-shybani. *Al-Asami wal kona*. Achieve: abdul allah Ibn Yousef Al-Jadee3. Edition: 1,1406, Al-Kwaat: Dar Al-Aqsa.
- Ibn Hanbal, Ahmad Al-shybani. *Msnad Al-Emam Ahmad*. Al-Kahera Moa'asasat Kortoba.
- Ibn Kathir, Abu Al-Fidaa Imad Al-Din Ismail bin Omar (B.T): *Tafseer Al Quran Al Azeem*, achieve: Sami bin Mohammd Salamah, Edition: 2, 1420H.
- Ibn Faris, Ahmad, *maqayees Al-lugha*, achieve: Abd- Alsalam Mohammad Haroon, dar Al-fekr.
- Ibin jza, Mohammad bin Ahmad, *altasheel L 3uloom altanzeel*, achieve: Abd Allah Alkhaleedi, Edition 1, 1416 H, Beirut dar Alarqam.
- Ibn Sayeda, Ali Ibn Esmail. *Al-Mokhsas*. Achieve: Khalil Ibrahim Jafaal. Edition: 1417. Beirut: Dar Ehya Al-Turath Al-Arabi.
- Imam Jalal ud Din Suyuti: *Al Itqan Fi Uloom Al-Quran*, achieve: Mohammad Abu Al-Fadel Ibrahim.
- Muslem, abu alhusain bin alhajaj, *Sahih Muslem*, achieve: Mohammad fuad abd Albaqi, Beirut, dar ihya'a alturath al3arabi.
- Mustafa, Ibrahim abd alrahim, *Alenfe3alat alnafseya 3nd alanbeya'a 3alayhem alsalam fe alquraan alkareem* (master research) NNU.

- Tantawi, Mohammad Sayyd. *Al-Tafsir Al-Waseet*. Edition1. Al-Kahera Dar Nahdet Masir.
- *Tafsir al-Sha 'rāwī*. by al-Sha 'rāwī, Muḥammad Mutawallī.
- *Tafsir al-Tahrir wa-al-Tanwir* (30vols.) by Ibn Ashur, Muhammad al-Tahir.
- *Taysir Al-Karim Al-Rahman fi tafsir kalam al-Mannan* by Sadi, Abd al-Rahman ibn Nasir.